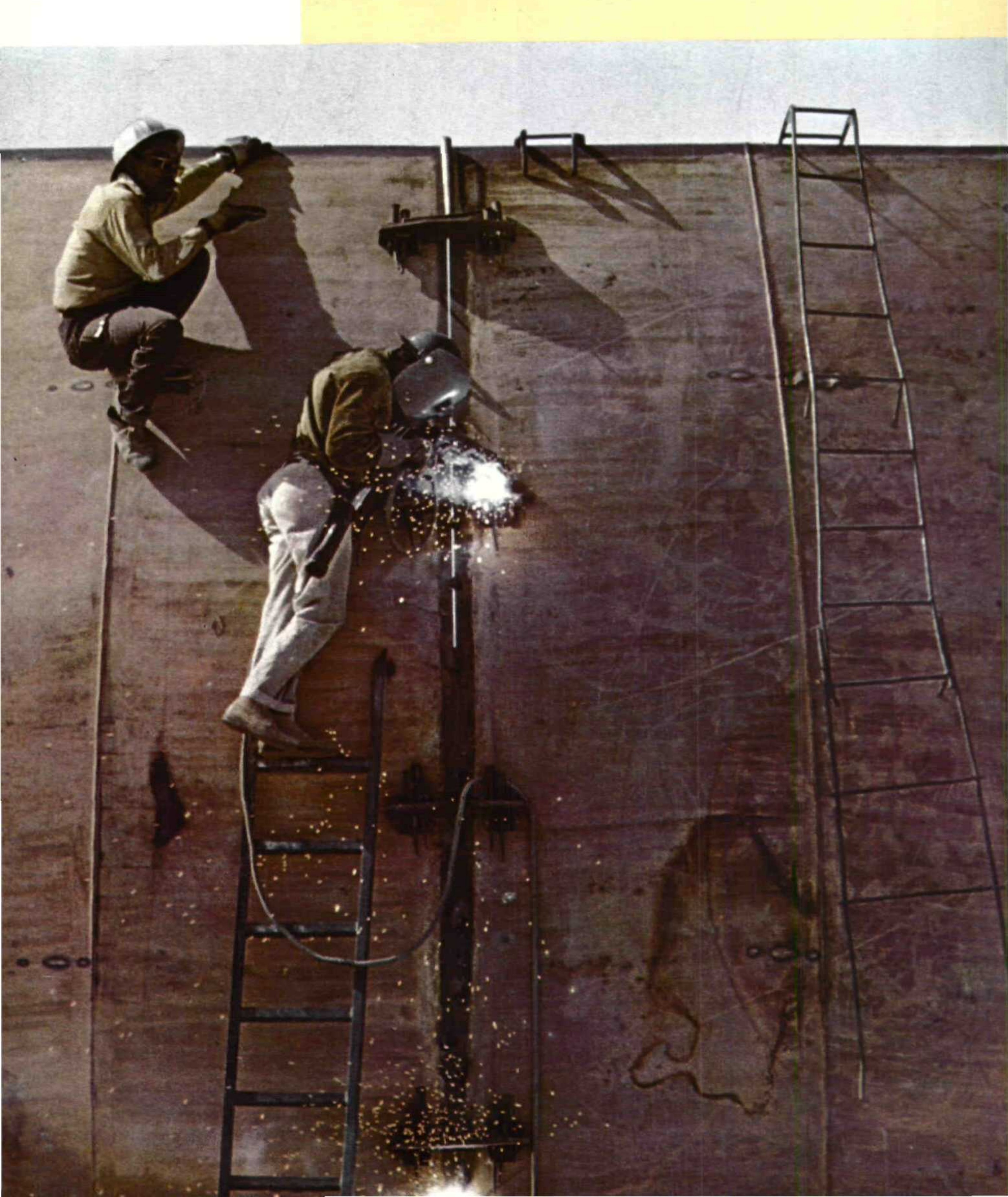
قافلة الزيت

ربيع الثاني ١٣٨٦
يوليو - اغسطس ١٩٦٦



بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

الصفحة

صورة الغلاف

اللحام . . . (راجع المقال)

تصوير : مودي



خواطر وسوانح

الأفكار المفيدة أمرها عجيب غريب . نحاول أن نستحضرها عند حاجتنا اليها فتأتي خجولة متثاقلة ، أو تأبى أن تستجيب لندائنا فتعاند بكل كبرياء وقوة وحزم .

ولكن الأعجب من هذا كله انها قد تتدفق علينا بغزارة في أوقات لا نكون على استعداد لتقبلها والاستفادة منها . فقد تتبادر الى ذهننا فكرة مفيدة أو طرفة غريبة أثناء تناولنا طعام الفطور أو عند ركوب الحافلة في طريقنا الى العمل ، وأحيانا أثناء مطالعتنا لأحد الكتب ، وحتى خلال فترة راحتنا بعد الغداء .

وتمر بنا هذه الأفكار فتستوقفنا لحظات قصيرة ، ونعود فنودعها بابتسامة أو هزة رأس خفيفة قائلين اننا سنستعيدها عند حاجتنا اليها ، أو في وقت تكون فيه الظروف مواتية مناسبة .

وفي كثير من الحالات تكون هذه الأفكار الأوابد حاملة بين أعطافها أشياء مفيدة قد تصبح على جانب من الأهمية لو وجدت منا الرعاية الكافية المناسبة .

وفي أكثر الأوقات، ان لم يكن في كلها، تضيع منا فكرة وراء أخرى . تذهب بلا عودة دون أن نسبر أغوارها لنعلم مدى صلاحيتها ، فلا نستفيد نحن منها ولا ننفع بها غيرنا .تضيع وكأنها لم تكن لدينا نابضة بالحياة زاخرة بالألوان .

والرجل الناجح لا يعتمد اعتمادا كاملا على ذاكرته في حفظ ما يمر به من أحداث وما يجري في مخيلته من خواطر وأفكار في حياته اليومية ، وما يتبادر الى ذهنه من انطباعات وآراء عند مطالعة كتاب مفيد أو مناقشة موضوع مهم .

انه يعرف قيمة الفكرة الصالحة ، ولذا فهو يحرص على تسجيل كل خاطرة وسانحة تمر في باله ، ويرى فيها ما يستحق التسجيل ، حتى يعود اليها كلما كان في العود فائدة .

وتمضي الأيام ويجتمع لديه الشيء الكثير من شذرات المعرفة التي لا بد وان تظهر فائدتها في أحد الأوقات .

ولا عجب ان أصبح جمع خواطرنا وبنات أفكارنا وحفظهما هواية محببة لدينا في عصرنا هذا الذي كثرت فيه الهوايات وتعددت وأصبحت جزءا لا يستهان به من حياة الكثير من الناس . فقديما قيل : ان أضعف مداد أقوى من أية ذاكرة .

فؤاد الرئيس

قافلة الزيت

العدد الرابع — المجلد الرابع عشر

تصدر شهريا عن: شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا

مديرها ورئيس تحريرها: سيف الدين عاشور

المحرر المساعد: فؤاد الرئيس

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ . الظهران ، المملكة العربية السعودية

صفحات مجهولة في الأدب العربي المعاصر

بقلم الاستاذ انور الجندي

توسعت في السنوات الأخيرة دراسات الأدب العربي المعاصر ، وصدرت مؤلفات متعددة ، وجرت أبحاث متحررة تناولت آداب الأمة العربية جملة ، كما تناولت آداب الأقاليم المختلفة ، والعصور المتعددة ، وظهرت دراسات تناولت فنون هذا الأدب من شعر وقصة ونقد ونثر وصحافة وأدب نسوي . كما تناولت هذه الدراسات تراجم الأدباء والكتاب والشعراء والصحفيين جميعا ، غير أن هناك جوانب أخرى ما تزال في حاجة الى دراسات شاملة وموضوعية حتى تستكمل الصورة ، وهناك صفحات مجهولة ونقاط غامضة تحتاج الى الكشف عنها والتنقيب حولها ، ومن أبرز هذه الميادين : الرحلات ، والرسائل ، وصورة العصر ، وتراجم الاعلام المغمورين . وقد أتيح لنا أن نتناول في قافلة الزيت الزاهرة أمر هذه التراجم وبقي ان نتحدث عن الجوانب الأخرى .

أدب الرحلات :

ما زال (أدب الرحلات) في الأدب العربي المعاصر في حاجة الى مزيد من الكشف عن صفحاته . وهذه المادة خصبة ضخمة مدفونة في بطون الصحف والدوريات . وباستثناء ما نشر من مؤلفات لهؤلاء الرحالة ، وهو قليل جدا ، لا يكاد يصور حقيقة الرحلة والهجرة ويكشف دوافعها وبواعثها ونتائجها ، ومدى الخبرات التي أضافها الى التراث الأدبي ، والآفاق التي فتحها أمام الرحالة والمهاجرين . وقد امتدت هذه الرحلات الى أوروبا ، والى فرنسا بالذات وبريطانيا ، ثم امتدت الى العالم الجديد ، الى الأمريكيتين حيث أقام كثيرون من أدباء المهجر في بوسطن وفي البرازيل وفي غيرهما ، كما سافر كثيرون في أنحاء العالم العربي ، وجاوزوه الى جنوب افريقيا ووسطها ، والى الصين والهند وجاوه والملايو .

وتكشف الدوريات ، في فترة الثمانين عاما الماضية ، والتي راجعت أغلبها عن عشرات من هذه الرحلات التي كم نشرت عنها الفصول الطوال والقصار وتوالت ، والتي حررها كاتبوها من أماكن زيارتهم وبعد عودتهم ، وضمنوها مشاعرهم وانطباعاتهم ، وآراءهم ومواقفهم بالنسبة لما شاهدوه من بلاد وحضارات ، وما التقوا به من أهل تلك الأوطان . وقد اختفت هذه الفصول في أعماق الأضابير ، وذهب أصحابها دون أن يعرفهم عارف أو ينتفع أحد بما كتبوا . وهذه الصور والحلقات ما زالت تملأ صحف الأهرام ، والمقطم ، واللواء ، والمؤيد ، ومجلات الهلال ، والمقتطف ، والمشرق ، وعشرات من صحف ومجلات أخرى أقل شهرة وذيوعا .

وقد استطعت أن أحصي عددا غير قليل من هذه الرحلات ، منها رحلات : داود بركات المتوالية على السنوات ، ورحلات خليل ثابت ومحمد عبد الله عنان . وقد ذهبت هذه الرحلات الى المشرق والمغرب وأوروبا ، وزار أصحابها كثيرا من الأماكن التاريخية في باريس وتركيا والمشرق ، ورحل محمد فريد الى الجزائر وتونس وفرنسا ، وسافر الشيخ محمد عبده الى المغرب وأوروبا ، وسافر لطفي السيد وقاسم أمين الى تركيا وسويسرا ، وذهب سلامة موسى الى الجزائر ، وأحمد فهمي العمروسي الى مراكش ، وعزيز المصري الى ايران وسوريا والعراق ، وأمير بقطر الى أغلب بقاع الارض ، وسافر محمود عزمي الى الشام والمغرب والحجاز ، ومحمد علي الى أمريكا واليابان . وكتب كل من هؤلاء فصولا متعددة ، تضمنت صورا وأحاديث . وهناك « محمود رشاد » الرحالة الذي لم ينقطع عاما واحدا عن الرحلة ، وهو صاحب « المرسيليات » التي كتبها من مرسيليا والتي نشرتها الأهرام له ، وله « رسائل مصري من أوروبا » منذ ١٩١٢م.

واذا كانت رحلة رفاعة الطهطاوي الى فرنسا في ثلاثينيات القرن التاسع عشر قد لقيت ذلك الاهتمام البالغ ، فان هناك رحلات مشابهة تمت في الوقت نفسه لبعض أعلام الجزائر والمغرب سجلوا فيها مشاعرهم وآراءهم . وما زالت رحلات عبد العزيز الثعالبي الى أطراف العالم الاسلامي خلال ثلاثين عاما في الصحف المصرية والعراقية ، في رسائل ومقالات تناولت مختلف شؤون العالم الاسلامي .

ومن هذا التراث الضخم يستفيد الأدب العربي كثيرا اذا ما أعيد كشف هذه الصفحات . فانها تصحح كثيرا من وقائع التاريخ ، وتلقي أضواء على كثير من المواقف ، وتحقق كثيرا من جوانب الفكر ، ومعالم الأدب ، وتراجم الاعلام .

وفي السنوات الأخيرة نشرت الصحف كثيرا من الفصول عن رحلات حديثة ، ما زالت أيضا على قرب العهد بها ، بعيدة عن التناول والانتفاع بها ، وكل هذا جدير بأن يغربل ويدرس ويقدم

من جديد في صورة منسقة علمية ، ولا شك أن « فن الرحلة » قد تطور مع تطور الأدب العربي ، حين خرج من مرحلة التقليد والزخرف الى مرحلة التعبير الدقيق وتغليب المضمون .

أما رسم الصورة فقد كان أول أمره ساذجا يسيرا ، ولم يكن في جملته أكثر من سرد وتسجيل متصل للأحداث مع توالي الأيام ، ثم تطور من بعد فأصبح تصويرا للمشاعر من خلال الوقائع .

فاذا أضيف الى هذا مراجعة شاملة لما نشر من مؤلفات عن الرحلات ، أمكن رسم صورة كاملة . وما تزال هذه المؤلفات قليلة فهي لا تعدو أن تكون متمثلة في هذه المؤلفات : « تخليص الابريز في تلخيص باريز » لرفاعة الطهطاوي ، و « السفر الى المؤتمر » لأحمد زكي باشا ، و « الواسطة في أخبار مالطة » و « كشف المخبا في فنون أوروبا » لأحمد فارس الشدياق ، و « الرحلة الى ألمانيا » لحسن توفيق ، و « رحلة محمد شريف الى أوروبا » لمحمد شريف ، و « صفوة الاعتبار » لمحمد بيرم ، و « ارشاد الالبا » لعبد الله فكري ، و « من مصر الى مصر » لمحمد فريد ، و « رحلات » لمحمد لبيب التتانوني ، ومحمد ثابت ، وعبد الوهاب عزام . و « ملوك العرب » لأمين الريحاني ، و « ذكريات باريس » و « وحي بغداد » لزكي مبارك ، و « غرائب الغرب » لمحمد كرد علي ، و « الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية » ، و « الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف » لشكيب أرسلان ، و «ولدي» و « منزل الوحي » لمحمد حسين هيكل ، و « رحلة الحجاز » لابراهيم عبد القادر المازني ، و « أبو الهول » « لمحمود تيمور » . فاذا أضاف البحث خلاصات لهذه المؤلفات الى المتناثر في الدوريات تحقق أن يظفر الأدب العربي المعاصر بدراسة شاملة لأدب الرحلات .

أدب الرسائل :

والكشف عن « أدب الرسائل » في الأدب العربي المعاصر قطاع آخر مهم ، وهو ميدان غني غاية الغنى من ناحيتين : ما هو مسطور في بطون الصحف والمجلات وما يحتفظ به الناس من رسائل .

وباستثناء ما نشر من رسائل مي وأمين الريحاني وجبران و (أحمد تيمور – انستاس الكرملي) ، ورسائل اليازجي وتوفيق الحكيم في زهرة العمر ، ورسائل الرافعي الى أبي رية ، ورسائل (رشيد رضا – شكيب أرسلان) لا نجد شيئا مطبوعا ذا بال . بينما تضم الدوريات المتعددة لصحف العالم العربي عشرات الرسائل التي أرسلت من المنافي والسجون والمهاجر ومن وراء البحار ، والتي أثارت عشرات القضايا الاجتماعية والأدبية . وقد حفظت مجلة « المنار » عديدا من رسائل الشيخ محمد عبده ، ونشرت بعض رسائل سعد زغلول في صحف الأهرام ومجلة « كل شيء » ، ونشرت « كوكب الشرق » و « الشورى » عديدا من الرسائل التي كتبها أحمد زكي باشا ، والتي تبادلها مع شكيب أرسلان ، الى غير ذلك من عشرات الرسائل التي تضمها الصحف وقد استطعنا جمع بعضها .

وحسبي أصور لك بعض ما تحويه هذه الرسائل أنقل هذه الرسالة التي كتبها عبد العزيز البشري الى حافظ ابراهيم على أثر خبر نشرته الصحف عن سرقة (مصوغات) من منزل شاعر النيل في حلوان فكتب البشري اليه يقول :

« راعني ما وقع الي في بعض الصحف من أن سراق الليل قد دبوا الى دارك ، راعني هذا وشغلني ، ووالله ما أدري ، أأرثي لك أم أرثي لهم ، ولقد زعموا أنه سرق من دارك مصوغات وحلي ، ولست أعلم ان كان هذا من مبالغات الجرائد ، أم ان مجرد اقتحام اللصوص لدارك أجرى بحكم العادة كلمة (وسرقوا بعض المتاع والحلي) كما يجرى دائما بكلمة (بالقضاء والقدر) في حوادث الترام. أم ان اللصوص أنفسهم هم الذين أطلقوا هذه الاشاعة عزاء لهم عما لحقهم من طول المشقة والعناء ، وسترا لما تقدم لهم من سوء الرأي وما نالهم من خيبة الرجاء . فان كانوا ولا بد قد سرقوا (صيغة) فلعلها صيغة منتهى الجموع ، وهي – كما علمت – لا تروي من ظمأ ولا تسمن من جوع .

وبعد فما الذي أغرى اللصوص بك ، فجرهم الى دارك وتخطى بهم دور الموسرين من أصحاب جوارك ، لعلهم قد ساموا ما عندك من روائع القصائد فحسبوها من فرائد القلائد ، ولاح لهم من كل يتيمة ما لا تقوم به خزائن الأرض بقيمة ، فاذا كانوا قد خرجوا من بيتك صفرا من المال والنشب ، فلا عجب . اذا أدركتهم عندك حرفة الأدب » .

وبعد فان هناك عشرات ومئات من هذه الرسائل في حاجة الى التنقيب عنها وجمعها . ولدى الأعلام في مختلف انحاء العالم العربي مئات الرسائل ، لأمثال طه حسين ، وهيكل ، وزكي مبارك ، والعقاد ، وكرد علي ، وشكيب أرسلان ، والرصافي ، والزهاوي ، والغلاييني ، وخليل مطران ، وشوقي ، وحافظ ، وعبد القادر المغربي ، والثعالبي وغيرهم ، يمكن أن تجمع . فاذا جمعت قدمت حقائق جديدة وتصحيحات كثيرة للجوانب الناقصة والغامضة في حياة الأدب العربي المعاصر وحياة الاعلام مما يكون له أبعد الأثر في تاريخ هذا الأدب وتياراته .

صورة العصر :

أما الأمر الثالث فهو الكشف عن « صورة المجتمع » والعصر من خلال الندوات ، والحفلات واجتماعات البيوت والمقاهي ، وما أثير فيها من قضايا وأحفال التكريم ، وما تزال المقهى التي كانت مجلس جمال الدين الافغاني تتردد على الألسنة والأقلام . وهناك الرواق العباسي الذي كان محمد عبده يلقي فيه دروسه وقد صورها الدكتور طه حسين بأنه كان يحرسها شاب فارع فلا يستطيع كل انسان أن يقتحمها . وهناك عشرات من هذه المواقع وما دار فيها من أسمار ، كل هذا ما زال مدفونا في بطون الصحف والدوريات ويحتاج الى النبش عنه وجمعه وتنسيقه. وما أحوجنا كذلك أن نجمع ما تبقى من ذكريات مع الأحياء المعمرين الذين شهدوا الأحداث في فجر هذا القرن ، وهذا جانب مهم وجديد لم تسبق كتابته في الأدب العربي الا في فصول قليلة . ومن حق الأدب العربي المعاصر أن يحظى بهذه الصورة لتكون اطارا لدراسات العصر والاعلام والفنون المختلفة . وصورة المجتمع في الآداب الغربية فن معروف ومشهور ، وهو عون للمؤرخ كما هو عون للأديب ، بل انه عون أيضا للمسرح والأفلام التاريخية جميعا . ولعلي متوجه نحو هذه الأبحاث بجهد ضعيف أو قليل ، وذلك استجابة لكثير ممن طالعوا « موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر » وأحسوا بالحاجة الى استكمال هذه الصفحات الضائعة ، والحلقات الغامضة ، وهي فعلا جديرة بأن تستكمل حتى نضع بين أيدي الباحثين أسانيد ونصوصا أساسية تعينهم على تقويم الأدب وتحقيقه وكتابة صورة صادقة عنه . ومن خير من يستطيع أن يعمل في هذا الحقل الاساتذة محمد عبد الغني حسن ، ووديع فلسطين ، والشيخ محمود أبو رية ، وكحالة ، ويوسف أسعد داغر .

العقاد في أم القرى

بقلم الاستاذ فؤاد شاكر

كثير من الناس ، لا يعرفون مدى الصلة الروحية الوثيقة ، التي ربطت بين الأستاذ الراحل عباس محمود العقاد ، وبين هذه البلاد ، وأكثر من الكثير ، من لايعرف الوشيجة الأدبية الكبرى التي جمعت بين شيخنا وأديبنا الكبير ، وبين أدباء هذه البلاد ، في لقاء حافل جامع ، وان كان قصير المدة في عمر الزمن ، لم يتجاوز ثلاثة من الأيام . ولكنه كبير القدر والقيمة ، لما تم في خلاله من نفع أدبي جليل ، وما تحقق من ورائه من اندماج روحي ووجداني بينه وبين أبناء هذا البلد الكريم ، في فترة روحية ووجدانية أشعلت عاطفة الأدب ، وأوقدت جذوة الدين وأحاسيسه التي هي أصل الفطرة وأسباب الحياة والعلم والمعرفة ! حيث نشأت بعد ذلك الذكريات العميقة التي تغلغلت في النفوس ، وسجلت بين طياتها الى الأبد ، بين الضيف الكريم وأصدقائه .

لقد وفد الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد على هذه البلاد ضمن اعضاء بعثة الشرف التي قدمت لمصاحبة المغفور له الملك عبد العزيز ، في رحلته الى القطر المصري الشقيق عام ١٣٦٥ هجرية الموافق لعام ١٩٤٦ ميلادية . وقد كان مع البعثة أعضاء من علية القوم ، وانما لفت نظر أهل هذه البلاد ، وأدبائها ، مجيء الأستاذ عباس محمود العقاد ، وهو من هو مكانة في العلم والأدب والاجتماع . ولقد كانت لي صلة صداقة وثيقة بالكاتب العربي الكبير ممعنة في قدم الزمن الى أبعد من ذلك التاريخ بكثير . ولهذا ، فلا عجب اذا بادرت الى الحفاوة بالعقاد مدفوعا بعامل الصداقة الشخصية ، وبواجب التكريم والتقدير لمكانة الرجل في مجال الأدب والعلم والثقافة . وكنت في ذلك الوقت أشغل منصب رئيس تحرير جريدة « أم القرى » ، ورئيس التشريفات لجلالة المغفور له الملك الراحل عبد العزيز رحمه الله . وقد دعتني ظروفي الآنفة في كلا المنصبين أن أقوم بواجبي حيال الأديب الكبير ، وضيافته في هذه البلاد . وكما هو معروف ، فان اسم الأستاذ العقاد وشهرته ، جعلا كثيرين من شداة الأدب وناشئته ، بالاضافة الى عمدائه وكبرائه ، يتطلعون الى اجتلاء طلعة الأديب الكبير ، والحظوة برؤيته ، والظفر بجلسة أدبية ممتعة معه !

لقد كان الاستاذ العقاد عميق الشعور والاحساس نحو هذه البلاد المقدسة ، وهو يراها للمرة الأولى ، وللوهلة المشرقة . وهو الرجل العالم العلامة ، الذي لا شك انه سجل في خاطره أعمق الأحاسيس عن هذه البلاد قبل أن يراها . ولهذا فقد كنت أنصت في شغف شديد الى كل ما كان يصدر عنه من العبارات عن مشاهده وخواطره سيما وقد كنا لا نفترق ساعة من نهار أو من ليل طوال الأيام التي قضاها بين هذه الربوع المقدسة . وكان ان رتبت له لقاء أدبيا كريما مع فحول الأدباء المعاصرين اذ ذاك ، والمعاصرين الى اليوم أيضا !! وقد كتب الأستاذ أحمد قنديل مقالا طريفا عن ذكريات هذا اللقاء الأدبي منذ بضعة أشهر في احدى يوميات جريدة البلاد السعودية ، وتفضل فاستشهد بي عن بعض وقائع الحفل واللقاء ، ولم تسعدني الظروف بعد بالتعليق على ما كتبه الصديق أحمد قنديل ، وانما اقتضاني السياق هذا الاستشهاد للمناسبة !

لقد تفضل الأستاذ العقاد بزيارتي في دار جريدة « أم القرى » ، وطلب اليّ أن أسمح له بتسجيل كلمة بقلمه عن خواطره في هذه الزيارة ، فتفضل رحمه الله وكتب العبارة التالية التي نشرت في العدد ١٠٨٨ من جريدة « أم القرى »الصادر بتاريخ الجمعة ٨ صفر ١٣٦٥ — الموافق ١١ يناير ١٩٤٦ ، قال الأستاذ العقاد :

« أحيي أم القرى ، تحية الزميلة الموقرة ، وأحيي فيها ذلك الأسم الكريم الذي نتشرف بالانتماء اليه ، وأتمنى لها أن تصبح في الزمن القريب أم الصحف العربية ، وحسبها في بلوغ هذا الشأو الرفيع من قدرة أن تقتدى بالصحف الأولى التي تنزل بها الوحي المبين ، على خاتم المرسلين في هذا البلد الأمين » وفي ذلك العدد نفسه ، نشرت الصحيفة وصفا طريفا شائقا لزيارة الأستاذ الراحل عباس محمود العقاد لدار الجريدة ، وكيف تمت الزيارة ومن شهدها من الأدباء الذين تصادف وجودهم في مكتب تحرير الجريدة ، وأشارت الى بعض الأحاديث التي حولت مكتب التحرير الى ندوة أدبية حافلة ، جرى فيها الحديث سجالا بين الحاضرين من الأدباء ومن أسرة الجريدة ، وكانت الموضوعات العلمية والأدبية محور الحديث جميعه . كما كان الاستاذ الكبير العقاد فيه قطب الرحى ومحور الدائرة !!

والتقى الأستاذ عباس محمود العقاد ، رحمه الله ، بلفيف من أدباء المملكة الذين كانوا

موجودين بمكة المكرمة يومذاك ، وتحدث اليهم عن كثب ، واستمع الى آراء بعضهم في انصات واصغاء استجابة لما كان في نفسه من شغف بالوقوف على كل صغيرة وكبيرة من دقائق الحياة الأدبية في هذه البلاد التي بهرته بحاضرها المشرق ، بالاضافة الى ما كان في نفسه عن ماضيها الغابر المجيد ، ذلك الماضي الذي كان يتمثله في كل ما كان يشاهده في هذه البلاد من المرئيات التي أتيح له أن يراها خلال زيارته العابرة ، كما كان اعجاب الشباب والأدباء بالاستاذ العقاد ، وهم يرونه بين ظهرانيهم ، بل بين أيديهم وأبصارهم يفوق حد الوصف والتعبير ! ! وقد رسخت ذكريات هذا اللقاء في خواطر الكاتب العبقري الكبير ، بحيث كان يتداولها في ذهنه وفي أحاديثه طوال الأيام الباقية في حياته كلما سنحت الفرصة ، وعرضت المناسبة واستمرت اللقاءات الكريمة الحبيبة بين أدباء المملكة وشبابها ، وبين عملاق الأدب الأستاذ الكبير – العقاد – طوال أيام وجوده ، تارة في مكتب تحرير الجريدة « أم القرى » الذي كان بطبيعته منتدى أدبيا لذلك الزمان ، وتارة في الفندق الذي كنا نلتقي فيه حتى جاء ميعاد الرحلة الى القاهرة في معية المغفور له الملك عبد العزيز – رحمه الله .

وكان من محاسن الصدف ان صادف يوم من أيام الرحلة تاريخ جلوس الملك ، ونحن نبحر على اليخت « المحروسة » . وقد فطن الى ذلك المسؤولون وأعضاء بعثة الشرف ، فكان ان أقاموا على ظهر اليخت حفلا رائعا بتلك المناسبة السعيدة في ضحى يوم الثلاثاء ٥ صفر ١٣٦٥ ، الموافق ٨ يناير ١٩٤٦ . وقد همس في أذني الصديق الأستاذ عباس محمود العقاد بوجوب اعداد أبيات من الشعر للاشتراك بها في هذه المناسبة الكريمة . وبالفعل ، أقيم الاحتفال وكان مفاجأة طيبة لنا جميعا نحن السعوديين ، ونحن نعلن الحفاوة بذكرى جلوس جلالة الملك المعظم ، والحفاوة بتلك الذكرى على ذلك النحو الرائع المفاجىء الكريم حيث تقدم رئيس بعثة الشرف فقدم التهنئة الى جلالة الملك الراحل عبد العزيز ، وألقى كل من الأستاذ العقاد وكاتب هذه السطور قصيدة عدد أبياتها سبعة عشر بيتا . كما أقيم عرض عسكري على ظهر اليخت أطلقت خلاله طلقات المدافع للتحية والتكريم . وكانت أبيات الأستاذ العقاد رائعة في مطلعها وفي الاشارة الى ذكر البحر في هذه المناسبة ، كما ورد هذا المعنى في الأبيات التي ألقيتها بين يدي صاحب الجلالة ، والتي علق عليها جلالته رحمه الله ، كعادته أحيانا بالدعابات الطريفة . وهذا مطلع قصيدة الأستاذ العقاد :

أسد العرين يخوض غيل الماء
يا بحر راضك قاهر الصحراء !
يوم من البشرى يردد ذكره
ركب السنين ، وجيرة البيداء !
لم يقترن بالبحر عيد جلوسه
الا لعمر زاخر ، ورخاء !
الشرق والاسلام قد سعدا بمن
يعلو بآلهما ، الى الجوزاء !

وهذا هو مطلع قصيدتي :

أقبل فديتك في الأيام يا عيد
واسطع فنجمك في الآفاق تصعيد
بالأمس أشرقت الدنيا لبهجتها
فالشرق والغرب اصغاء وتمجيد !
واليوم تحتفل الأمواج راقصة
تيها كما احتفلت من قبلها البيد !
واليوم يسعد هذا البحر مبتهجا
بمن يقل ، وفي عطفيه تأويد !

وكانت أيام سعادة شاملة وغبطة كاملة ، لم يشهد الاستاذ الراحل نظيرا لها بقية أيام عمره ، وظل يذكرها لي بالثناء والخير كلما التقينا بعد ذلك حيث كانت أسعد أيام حياته هي أيام « أم القرى » .

حاول ان تجيب

– ١ –

أ – ما هو أثقل العناصر الطبيعية ؟
ب – ما هو أخف العناصر الطبيعية ؟
ج – كم يبلغ عدد العناصر الطبيعية ؟

– ٢ –

ماذا يطلق على صدر كل من الحيوانات التالية :

أ – البعير
ب – الفرس
ج – السبع

– ٣ –

من هو قائل كل من الأبيات التالية :

أ – كن بلسما ان صار دهرك أرقما
وحلاوة ان صار غيرك علقما
ان الحياة حبتك كل كنوزها
لا تبخلنّ على الحياة ببعض ما

ب – بالغت في شتمي وفي ذمي
وما خشيت الشاعر الأمي
جربت في نفسك سمّا فما
أحمدت تجريبك للسم

– ٤ –

ما هو جواب اللغز التالي :

باكية ضاحكة — خدامها جلاسها
مظهرة أنوارها — ان جزّ منها راسها
كأنها عاشقة — تذيبها أنفاسها

(الأجوبة على الصفحة ٤٥)



للشاعر مصباح العابودي

قولي : – فديتك – يا مربيتي العزيزة ، كيف أسلو ؟
والعيش بعد فراق مدرستي الحبيبة ، كيف يحلو ؟
وبغير ساحتها الرحيبة ، أين أمرح ؟ أين ألهو ؟
ولمن بأحلامي ، اذا افترقت زميلاتي ، سأخلو ؟

* * *

قد كنت لي أما ، ولكن فوق كل الأمهات
وشقيقة كبرى تبصّرني بأحداث الحياة
وزميلة فضلى ، ورائدة الى سبل النجاة
وصديقة رقّت شمائلها عن الماء الفرات

* * *

ويحي ! أحق أنني ودعت عهد طفولتي
وبأنني بالرغم مني سوف أهجر جنتي
ودفاتري ، ومحابري ، ومساطري ، وحقيبتي
واحسرتاه اذن ، فما أقسى وأعظم محنتي

* * *

أنا لست أدري ، ما أشاهده ، خيال أم حقيقه
حيرى ، تقاذفني الهواجس ، في مفازات سحيقه
أأجود راضية بأعوام ، كأزهار رقيقه
وأعود ، لا ألوي على شيء ، سوى هذي الوثيقه !!!

* * *

لا ، لا وأقسم ، لن يكون مصيرنا هذا المآل
والأم ما زالت ، وسوف تظلّ صانعة الرجال
وأرق ينبوع تدفق ، بالجمال وبالجلال
تطوى لعزمتها السهول ، وتنحني قمم الجبال

* * *

وغدا على الآمال ، في البلد الحبيب سنلتقي
في مهرجان الفرحة الكبرى ، وعيد المشرق
بين الخمائل والجداول ، نستظلّ ونستقي
ونعيش للأحلام ناعمة ، وللحب النقي



معهد التدريب الفني لمطار الظهران الدولي



سعادة اللواء محمد المطلق قائد مطار الظهران يلقي كلمة توجيهية قيمة بمناسبة افتتاح دورة التدريب على الرئاسة في معهد التدريب الفني .

يعتبر مبنى مطار الظهران الدولي بحق ، تحفة فنية رائعة تحمل طابع هندسة البناء الشرقي ، وتساير في اتقانها أحدث ما توصل اليه فن بناء المطارات في العالم . وهذه التحفة الفنية والمرافق التابعة لها تتطلب صيانة جيدة ، كي تعمر طويلا وتبقى تعمل بانتظام ودقة ، لذلك ونظرا لعدم توفر العدد الكافي من الفنيين الوطنيين في الوقت الحاضر عهدت الحكومة بأمر تشغيل مرافق مطار الظهران وصيانتها الى شركة «كومنولث سرفسز انترناشونال انكربوريتد» التي ما زالت تقوم بهذه المهمة منذ عام ١٩٦٢م ، مستخدمة في ذلك خبراء ومهندسين وعمالا فنيين جلبهم من الخارج .

بيد أنه بعد تجديد اتفاقية هذه الشركة عام ١٩٦٥ ، تضمن العقد الجديد بندا ينص على قيام الشركة المذكورة باعداد برنامج تدريب لنخبة من المواطنين السعوديين الغرض منه تطوير كفاءاتهم وتدريبهم على تشغيل مختلف منشآت مطار الظهران ليتسنى لهم في المستقبل الاستمرار في تشغيل هذه المرافق الحيوية والحلول محل الفنيين الأجانب .

وسيستمر هذا البرنامج مدة خمس سنوات ، وستدفع الحكومة لشركة «الكومنولث» لقاء ذلك مبلغ ٩٠٠٠٠٠ ريال سعودي (٢٠٠٠٠٠ دولار أمريكي) في السنة . وهذا المبلغ يمثل في الحقيقة التكاليف الفعلية للبرنامج دون أن يكون فيه للكومنولث أي ربح أوفائدة . ويقسم برنامج التدريب هذا الى قسمين اثنين هما : ابتعاث عدد من الطلاب الى الخارج ، وتدريب عدد آخر محليا في معهد فني جرى انشاؤه مؤخرا لهذا الغرض .

ابتعاث الطلاب

بعد اعلان شروط الابتعاث وهي أن يكون المتقدم سعودي الجنسية قد تجاوز الثامنة عشرة من العمر ، ويتمتع بصحة جيدة وأخلاق حسنة ولديه الشهادة التوجيهية (القسم العلمي) وراغبا في توقيع تعهد الحكومة ، تقدم لشركة الكومنولث عدد من الذين تنطبق عليهم هذه الشروط . وبعد أن أجرى لهؤلاء امتحان ومقابلة شخصية ، تم اختيار ١٢ طالبا منهم سيرسلون الى مختلف الجامعات البريطانية للتخصص . فستة منهم سيدرسون الهندسة المدنية والهندسة الميكانيكية وهندسة الكهرباء . وثلاثة سيدرسون المواصلات والمعدات الألكترونية . أما الثلاثة الباقون فسيدرسون الرسم الهندسي المدني والميكانيكي والكهربائي .

وبما أن تدريس الطلاب في الجامعات البريطانية سيكون كله باللغة الانكليزية ، وهذا فيه بعض الصعوبة لطلاب المملكة ، نظرا لكونهم يتلقون اللغة الانكليزية كمادة ثانوية ، لذلك عمدت شركة الكومنولث الى اعطاء الطلاب دروس تقوية في اللغة الانكليزية والعلوم والرياضيات لمدة ستة أشهر قبل دخولهم الجامعات . وقد بوشر في اعطاء الطلاب الدروس المطلوبة منذ أول مارس من العام الحالي وسيرسلون الى الجامعات في أول سبتمبر .

المعهد الفني

تم تأسيس المعهد في شهر مارس المنصرم وبوشر فيه بتدريس اللغة الانكليزية للمبتعثين . وفي الوقت نفسه قام المسؤولون في المعهد باختيار الطلاب الذين سيجرى تدريبهم محليا . وقد تم اختيار ستين طالبا من المتقدمين ، جميعهم من خريجي المدارس الثانوية ، أو معهد التدريب المهني ، أو ممن يحملون شهادة الكفاءة . ويجري الآن أيضا اعطاؤهم دروس تقوية باللغة الانكليزية مدة ستة أشهر ، يحولون بعدها الى دراسة مناهج التدريب المخصصة لهم وهي :

١ — **انتاج القوة الكهربائية :** وعدد الطلاب الذين سيتلقون التدريب في هذا الحقل ١٢ طالبا ومدة الدراسة فيه ٤٢ شهرا ، وستشتمل الدراسة على تركيب معدات انتاج القوة الكهربائية وفحصها ، وكيفية اجراء دورات التفتيش الصيانية على معدات انتاج القوى الكهربائية ، وتفتيش أجزاء جهاز حقن الوقود ومعرفة كيفية اصلاحها ، وتحرّي كل خلل يطرأ على آلات محطة توليد الطاقة الكهربائية ومعرفة كيفية اصلاحها ، والالمام بالسلامة الأرضية وغير ذلك من الأمور المتعلقة بتوليد الكهرباء .

٢ — **تكييف الهواء والتبريد :** وفي هذا الموضوع يتلقى الطالب دروسا عن مبادىء الكهرباء ومبادىء التبريد ، وأجهزة ضبط التبريد وملحقاتها ، وشبكات التبريد الخاصة وتحليل المياه ، وتكييف الهواء ، وأجهزة ضبط تكييف الهواء ، وكيفية تشغيل أجهزة التكييف والتبريد . كذلك يتلقى دروسا عن القيادة وعن أنظمة السلامة المتبعة . ومدة التدريب في هذا الموضوع ٤٢ شهرا وعدد الطلاب فيه ١١ طالبا .

٣ – المواصلات اللاسلكيـة والأجهـزة الألكترونية : عدد طلاب هذا الفرع ١٤ ، يجري تدريبهم فيه على مرحلتين اثنتين : الأولى ، ومدتها ٢٤ شهرا ، يتلقى الطلاب خلالها دروسا أساسية في نظرية المواصلات تشمل الحرارة والضوء والصوت . والثانية يتلقى فيها الطلاب دروسا حسب طبيعة تخصصهم . فأربعة منهم ستكون دراستهم الالكترونات وستستمر هـذه المرحلة مدة ٢٢ شهرا . أما العشرة الباقون فسيوزعون كالآتي : اثنان لدراسة الالكترونات ، واثنان للمبرقات الطابعة ، واثنان لبدالات الهاتف ، واثنان لاصلاحها وصيانتها ، وأربعة لمد الخطوط وتوصيل الأسلاك . وستكون مدة تدريبهم ١٥ شهرا .

٤ – موارد المياه ومعالجتها : وسيدرب في هذا الحقل خمسة طلاب مدة ٣٠ شهرا حيث يتلقون دروسا في مبادىء السلامة ، وتحسين الانتاج ، وخواص موارد المياه ، ومراقبة التآكل ، وتشغيل مرافق ضخ المياه وصيانتها ، وتشغيل مرافق معالجة المياه وصيانتها ، وتشغيل وحدات تصريف مياه المجاري وصيانة أجهزتها ، وحفظ الصحة في منطقة العمل .

٥ – منع الحرائق والوقاية منها : وفي هذا الموضوع سيدرب ثلاثة أشخاص فقط ، يختارون من بين موظفي دائرة المطافىء الذين يشغلون وظائف رقابية أو في مستواها بتوصية من المراقب .

مدة الدراسة ٣٦ شهرا وتقسم الى مرحلتين ، الأولى ويدرس الطلاب خلالها في المعهد الفني ، وتشمل دراستهم ، التوجيه والتعريف بالموضوع ، وتنظيم دائرة المطافىء ، والنشرات الفنية والنماذج ، وأصول الرئاسة والادارة ، وعلم السوائل المستخدمة في الاطفاء ، وأعمال دائرة الحريق ، ومكافحة الحرائق في المنشآت ، ومكافحة الحرائق أثناء حوادث الاصطدام ، والمتفجرات والحرائق الكيماوية ، وأنظمة مؤسسة الطيران المدني الدولية وغير ذلك . والثانية ، عبارة عن مرحلة تخصص خارج المملكة لمدة تتراوح بين ٦ و ١٢ شهرا .

٦ – رسم الخرائط الهندسية : وقد أعد هذا البرنامج لاعطاء الطالب مبادىء أولية في أصول استعمال معدات رسم الخرائط وأدواتها ، ورسم الخرائط الهندسية ، ورسم مساقط الشكل الهندسي وأصوله ، ورسم الحروف ، ورسم الآلات ، والرسوم المعمارية والانشائية ، والطرق ومدارج الهبوط ، وتمثيل الرسم البياني ، والتخطيط البياني . مدة الدراسة ٣٠ شهرا وعدد الطلاب المنوى تدريبهم خمسة .

٧ – المحاسبة : سينتسب الى هذا البرنامج خمسة طلاب ، يتلقون خلال ٣٠ شهرا ، دروسا في عناصر المحاسبة ، كالمحاسبة العامة ، والمحاسبة الضرورية في أعمال المطارات .

٨ – التموين : ويتلقى الدراسة في هـذا الفرع أيضا خمسة ‎أشخاص مدة ٣٦ شهرا ، وتتم الدراسة على ثلاث مراحل مدة كل منها سنة . ففي السنة الأولى يعطى الطلاب دروسا عامة عن كيفية اجراء حسابات التموين ، وفي الوقت نفسه يركز على تقويتهم في اللغة الانكليزية . وفي السنة الثانية يدرسون أهمية وضع مناهج التموين العامة ، وطرق الاستيراد ، واجراء المشتريات والمقاولات . أما في المرحلة الثالثة فيختار الطلبة المتفوقون ويبتعثون الى الخارج لدراسة موضوع في الادارة العامة للتموين .

٩ – التدريب على الرئاسة : وهذا الفرع مقصور على الموظفين العرب السعوديين الذين يشغلون مراكز رقابية أو الذين ستسند اليهم مثل هذه المراكز في المستقبل ، وهو غير محدد المدة ، وانما سيتم على شكل دفعات متوالية في كل منها ١٥ موظفا .

بقي أن نذكر أن برنامج التدريب هـذا سيؤمن للمملكة في المستقبل القريب ، عمالا فنيين تقوم على أكتافهم وعلى أكتاف أمثالهم نهضة هذا البلد الكريم .

قائد مطار الظهران يقطع كعكة الافتتاح التي صنعت على شكل كتاب .





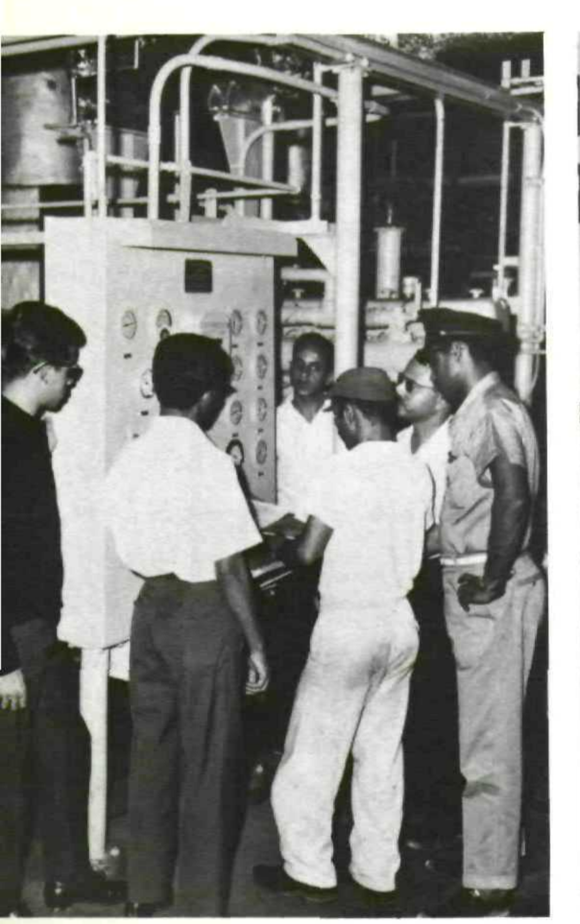
الطلاب في مختبر اللغة يتلقون درسا في اللغة الانكليزية .



طلاب الدورة الاولى في برنامج التدريب على الرئاسة امام مدخل المعهد .



فريق من طلاب المعهد في جولة تفقدية لغرفة التحكم في محطة توليد الكهرباء .



الطلاب في احدى وحدات تكييف الهواء .

معاجمنا اللغوية

بقلم الدكتور احمد الحوفي

فرائدة هذه اللغة العربية بين لغات العالم بنشأتها البعيدة ، وتاريخها الطويل ، وآدابها العريقة ، وثرائها الواسع ، وتأبيها على المحن والكوارث ، وبقائها سليمة على توالي الأعصار ، وستحيا الى ما شاء الله ، تفتر حينا ثم لا تلبث أن تسترد قواها ، ويعلوها صدأ حينا ، ولكنها لا تلبث أن تجلوه عن أديمها ، فتعود أكثر صفاء وأزهى بهاء . وللمعاجم اللغوية قصة ، ولما نرجوه منها حديث .

فقد كان الخليل بن أحمد (١٨٠هـ) أول من دون معجما لغويا سماه كتاب العين ، جمع فيه كثيرا من ألفاظ اللغة ، ورتبها حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالأسنان فالشفتين ، ووضع أحرف العلة في آخر الكتاب . وقد سمى كتابه « العين » ، لأنه بدأه بحرف العين .

ثم سار على طريقته بعض مؤلفي المعاجم ، كأبي علي القالي (٣٥٦هـ) في كتابه « البارع » ، والأزهري (٣٧٠هـ) في كتابه « التهذيب » ، وابن سيده (٤٥٨هـ) في كتابه « المحكم » .

وسار بعض اللغويين في اتجاهين آخرين ، فألف الجوهري (٣٩٨هـ) كتابه « تاج اللغة وصحاح العربية » ، مراعيا في ترتيب ألفاظه أواخر الكلمات ، ثم حاكاه ابن منظور والفيروز أبادى فيما بعد .

ورتب أحمد بن فارس (٣٩٠هـ) كتابه « المجمل في اللغة » على أساس الحرف الأول والثاني والثالث ، الخ . غير أنه التزم في ترتيبه الهجائي ما بعد الحرف الأول في الكلمة من حروف الهجاء الى أن يبلغ (الياء) ، ثم يعود فيذكر بعده من الهمزة الى ذلك الحرف . فمثلا عقد فصلا « للراء » ، فلم يذكر الراء مع الهمزة ثم مع الباء ثم مع التاء وهكذا ، بل ذكر الراء مع الزاي ، ومع السين ، ومع الشين ، ومع الصاد الى الياء ، ثم عاد فذكر الراء مع الهمزة وما بعدها الى الزاي .

ثم جاء الزمخشري (٥٣٨هـ) فألف كتابه « أساس البلاغة » على نهج هجائي أدق وأسهل من نهج ابن فارس ، اذ التزم الحرف الأول وما يليه من حروف الهجاء ، فعقد بابا للهمزة ، فرّع منه الهمزة مع الباء (أب ، أبد ، أبر ، أبس ، أبش ، أبص ، أبط ... أبى) وفرّع منه الهمزة مع الثاء (أثر ، أثف ، أثل ، أثم ...) وسار على نهجه هذا في كل حرف . وشرح المعاني الحقيقية للكلمات ، وأضاف اليها الاستعمالات المجازية ، فقال مثلا في مادة ثقب : ثقب الشيء بالمثقب ، وثقّب اللآل الدر ، ودر مثقب ... ومن المجاز : كوكب ثاقب ودرّى : شديد الاضاءة والتلألؤ كأنه يثقب الظلمة فينفذ فيها ، وحسب ثاقب : شهير ، وأتتني عنك عين ثاقبة : أي خبر يقين .

وقد يتعمق فيذكر مجاز المجاز ، كقوله في مادة نطح : تناطحت الكباش وانتطحت ، ومن المجاز تناطحت الأمواج والسيول ، ومن مجاز المجاز : رجل نطيح : مشؤوم .

وقد ذكر تصاريف الكلمات ومشتقاتها وجموعها ومزيداتها ومعاني كل منها ، مرتبا بعضها على بعض ، ومدرجا بعضها وراء بعض ، وسلكها في عبارات عدة تفصح عن معانيها ، وتميز مجازاتها من حقائقها ، سواء أشعرا كانت هذه العبارات أم نثرا ، قديمة أم محدثة ، وسواء أكانت من عصر الاحتجاج — من الجاهلية الى أواسط القرن الثاني للهجرة — أم مما بعده ، لأنه أراد أن يبين دلالات الكلمة في نصوص بليغة ، وليس يعنيه أن تكون قديمة أو حديثة . ولهذا أدار الكلمات أحيانا في عبارات من عنده ، فلم تجيء الكلمات جوامد منقطعة عن الاستعمال ، بل جاءت في سياق من التركيب أضفى عليها حياة .

نشر سلك مؤلفو المعاجم بعد الزمخشري طريقتين : فبعضهم حاكى الجوهري في ترتيبه كتابه الصحاح ، وبعضهم تأثر طريقة الزمخشري في ترتيبه أساس البلاغة . أما الفريق الأول فيمثله ابن منظور (٦٣٠ — ٧١١هـ) مؤلف «لسان العرب» ، والفيروز أبادى (٧٢٩—٨١٧هـ) مؤلف « القاموس المحيط » ، فانهما عدلا عن الترتيب الهجائي الى نظام الحرف الأخير من الكلمة الذي استنه الجوهري . وربما كان سبب ذلك انهما لم يرتضيا طريقة الزمخشري في التفريق بين الحقيقة والمجاز ، ولا طريقته في الاستشهاد بنصوص من كلام الأدباء بعد عصر الاحتجاج ، وليس بمستبعد أن يضاف الى هذين السببين سبب ثالث هو أن الزمخشري كان زعيم المعتزلة في عصره ، على حين أن ابن منظور والفيروز أبادي من كبار السنية .

وأما الفريق الثاني فيمثله الفيومي (٧٦٦هـ) مؤلف « المصباح المنير » ، وكذلك اللجنة التي شكلتها وزارة المعارف المصرية برئاسة محمود ظاهر بك ، فرتبت مختار الصحاح للرازي (المتوفى سنة ٧٨٠هـ) ، وبطرس البستاني مؤلف « محيط المحيط » ، وسعيد الشرتوني مؤلف « أقرب الموارد » ، ومجمع اللغة العربية في مشروع وضع المعجم الكبير .

على أن هناك معاجم مرتبة وفق الموضوعات والمعاني « مثل المخصص » لابن سيده ، « وفقه اللغة » للثعالبي .

والحق أن مراعاة الحرف الأخير مع الأول كما رتب ابن منظور والفيروز أبادي تكلف الباحث

عناء مضاعفا ، لأنه اذا أراد مثلا أن يكشف عن معنى (انصرح) فعليه أن يرجع الى باب الحاء أو حرف الحاء ، ثم عليه أن يجرد الكلمة من زيادتها ، لتصير (صرح) في فصل الصاد ثم يقرأ المادة الى أن يعثر على (انصرح : بان) . واذا أراد معرفة معنى (المستبذر) رجع الى باب الراء أو حرف الراء ، ثم يرد الكلمة الى أصلها وهو (بذر) في فصل الباء ثم ينقب حتى يجد أن المستبذر هو المسرع الماضي ، وهكذا .

كذلك يحس الباحث بصعوبة في ترتيب أساس البلاغة ومختار الصحاح وأقرب الموارد والمعجم الكبير ، لأنه لا بد أن يجرد الكلمة من زوائدها ، وقد تكون حروفها كلها أصيلة ، فيلتبس الأمر عليه ، وقد تكون الزيادة من المشكل في نظره ، وهذه مشقة يحتملها المنقب في المعاجم جميعا .

وسأضرب أمثلة من المشقات الهينة ، ففيها الكفاية .

١ — ليس بين لابتيها مثل فلان . معنى اللابتين في (لوب) وهما الحرتان .

٢ — فلان لا يلتاط بقلب فلان (في لوط) أي لا يحبه .

٣ — لا يماديه أحد (في مدى) أي لا يجاريه .

٤ — هو من أمازر الناس (في مزر) أي خيارهم .

٥ — تمعدد الصبي (في معد) أي غلظ وصلب وذهبت عنه رطوبة الصبا .

٦ — اتّزر (في وزر) أي ركب وزرا .

والحق أن واضعي المعاجم كانوا يتوخون التجميع المنسجم ، فيضعون الكلمة ومزيداتها ومشتقاتها وما يتصل بها من جموع ونسب وتصغير في واد واحد ، وفي هذا تسهيل وتصعيب ، وفائدة ومضرة . أما التسهيل والفائدة فبالنسبة الى المختصين وأشباههم ، وأما التصعيب والضرر ، فبالنسبة الى المبتدئين وغير المختصين .

ولكن فكرة التجميع المنسجم ما زالت ذات السلطان ، ولها أنصارها من المعاصرين ، حتى ان المجمع اللغوي بالقاهرة يحرص عليها ، ويستمسك بها ، ويضع المعجم الكبير على أساسها ، مع تجديد محمود في الشرح والتسلسل والتنظيم .

ولكن هذه الطريقة لا ترضي بعض الدارسين ، ويؤثرون عليها طريقة المعاجم الافرنجية ، بأن ترتب الكلمات ترتيبا هجائيا موافقا لحروفها الكاملة ، فتوضع (برق السحاب) في برق ، و (أبرقت السحابة) في أبرق ، و (رأيت في يده بارقة أي سيفا) في بارقة ، وتوضع كلمة (جهر الشيء اذا ظهر) في جهر ، و (رجل جهور) في جهور ، و (خطيب مجهري) في مجهر ، و (جاهرتهم بالأمر) في جاهر ، وفلان (جهير الصوت) في جهير الخ وهكذا يقصد الباحث الى الكلمة التي يريدها قصدا لا مراحل فيه .

ومهما يكن من شيء فانه لا مندوحة عن مراعاة عدة أمور راعاها المجمع اللغوي ، منها :

١ — التدرج من المعاني الكبرى الى الصغرى ، ومن الدلالة المادية الى المعنوية .

٢ — الاستشهاد بنصوص شعرية ونثرية مرتبة ترتيبا تاريخيا ، غير مقيدة بعصر .

٣ — التنبيه على الأصل الذي أخذت منه الكلمة ان كانت غير عربية .

٤ — الاكتفاء من أسماء النبات والبلدان والأماكن والأعلام بما يتردد في النصوص الأدبية ، حتى تفهم .

٥ — ضبط الكلمات المحتاجة الى ضبط دقيق لا بالشكل المعروف ، بل بالعبارات كما فعل كثير من القدماء ، فيقال مثلا : ثلج فؤاده بضم الثاء وكسر اللام ، ويقال : رأيت في السماء مخيلة أي سحابة ، بفتح الميم وكسر الخاء ، ويقال روق البيت بفتح الراء وسكون الواو ، ورواقه بكسر الراء بعدها واو ممدودة أي مقدمة .

ثم يستخلص من هذا المعجم الكبير معجم صغير للناشئين وغير المختصين يقتصر على ما يغلب على الظن انه موصول بحاجتهم وثقافتهم ، في عبارات مبسطة ، ورسوم وصور في بعض الكلمات . وأعتقد أن النهوض بهذا العمل الجليل واجب محتوم علينا ، وحق من حقوق لغتنا الفريدة ، تهيب بنا أن نؤديه فرادى وجماعات .

طرائف

الحوت يبتلع القمر

قال أمين آل ناصر الدين :

أبصرت فاتنة العقول وعندها
رجل نبا عن قبح طلعته النظر
ودنا يقبلها فقلت لمن معي
ضجوا فان الحوت يبتلع القمر

«على قدر لبساطك مد رجليك»

من لطيف قول أسعد رستم :

طعامي كان قبلا لحم عجل
فصار اليوم من خبز وفجل
فقالوا لي لماذا قلت اني
على قدر البساط أمد رجلي

الاحياء لمن تنادي

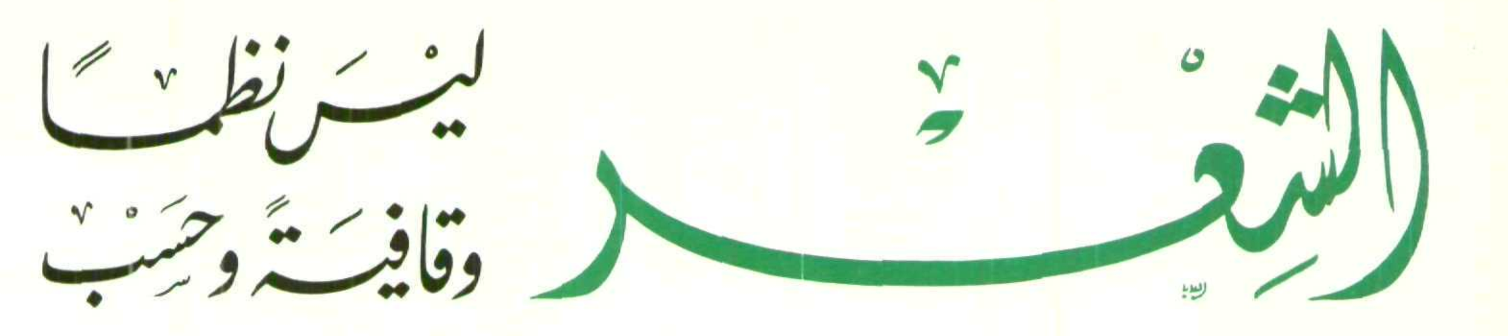
خطب أحدهم امرأة جميلة وكان شاعرا . ولما عرف أن المرأة قد استقبحته ، كتب اليها :

فان تنفري من قبح وجهي فانني
أريب أديب لا غبي ولا فدم

فأجابته على الفور : أود زوجا لا دائرة معارف **يا أستاذ !!**

اجابة مفحمة ...

قال أحد القادة البروسيين يوما لنابليون على سبيل التفاخر : «نحن البروسيين انما نقاتل في سبيل المجد ، أما أنتم معشر الفرنسيين ، فتقاتلون في سبيل المال» فأجابه نابليون عندئذ ببرود قائلا : «نعم ، فكل انسان يقاتل في سبيل ما ينقصه» .



الشعر ليس نظماً وقافية وحسب

بقلم الاستاذ عبد السلام هاشم حافظ

أكثر من قارىء .. بل ورفاق واصدقاء ما فتئوا يوجهون اليّ استفساراتهم حول الشعر عندنا بنوع خاص ، ويريدون مني تسليط الأضواء عليه وتقييمه ، وايضاح ماهية الشعر ولغته وتعابيره . على الرغم من كونهم يعرفون بأدلة الاحساس الفطري والنمو الذهني ، ماهية الشعر ، وكيف يؤدى سليما من كل جانب ، لكنهم في تساؤلاتهم الملحة يرددون أسئلة كثيرة تدور على الألسنة منها : ما معنى هذه القصائد أو القطع اليومية الزاخرة بالتراكيب المألوفة ؟ هل تسمى شعرا على حقيقته أم انها من باب التجاوز تدعى شعرا ، وهي في الواقع قد بعدت عن الدفق الشعري الذي ننفعل به ويحرك اللاشعور ؟ أو ليس من السخرية بمكان أن نجد من يكتب عن شاعر أو آخر بأنه يستحق أن يلقب أميرا للشعر المعاصر عندنا ؟

وهنالك أسئلة متشعبة ومماثلة يضيق عنها المجال هنا . وكلها تستهدف وضع النقط على الحروف ، وفي صراحة بعيدة جدا عن المجاملات . هذا بالاضافة الى حسن الظن الذي فاض به المخلصون علينا ، واننا لنعتز به ، ونشكر لهم جم تقديرهم ونعتبره من الأسباب التي تحبط عنا التشاؤم مما يلاقيه نموذج الشعر الرفيع من جحود وتجاهل مما سنعرف به في معرض حديثنا هذا .

ولعل أول ما تجدر الاشارة اليه أن نرد على تلك الفئة التي تصارع ظلمات نفسها حتى غشت على أنظارها ، فلا ترى ما هو متفاعل في ذاتية الانسانية الخصبة ، مهما امتدت بها الحقب وبلغ فيها العلم حد المادية البحتة . قالوا بأن الشعر قد انتهى عهده وان دفقاته المضيئة قد انطفأت ، وهم بذلك لا يؤكدون الا على تبلد مشاعرهم بل وعلى قصرهم الفكري كذلك ، لأن نبع الشعور لا يغيض أبدا ما دامت حياة .. مهما كانت هذه الحياة . فان طبيعتها العطاء والتدفق في المسرة والغبطة ، وفي التوثب والأماني ، وفي التألــم والأشجان . ومن هنا ينطلق الشعر رفافا من القلب الفرح ، أو النفس الحزينة ، أو الروح الطموح ، أو العواطف الانسانية الأخرى المتغايرة . وهذا ما يضمن الاجابة المقتضبة على السؤال التقليدي : ما هو الشعر ؟

والمنطق الشعري اذ ذاك يقول بقوة : أنــا التجربة .. أنا الانفعال .. أنا اللفظة الجمالية . وهو يعني بالاجمال انه الشعور المتدفق ، والخيال المطلق ، بأبلغ عبارة ، وأرق لفظة ، وبأجمل معنى ، وأروع أداء . هذا هو الشعر وهو ينساب في موسيقاه العذبة الرتيبة أو الشجية أو الهادرة . يضاف الى هذا ، الاستنتاج الذي عبر به الناقد الغربي ، رتشاردز في قوله : (ان أهم ما يمتاز به الشعراء هي سيطرتهم على الألفاظ سيطرة تدعو الى الدهشة) . الى أن يقول : (فالدوافع التي تحدد للقصيدة شكلها انما تصدر عن جذور العقل ، وما أسلوب الشاعر سوى النتاج المباشر للطريقة التي تنتظم بها نزعاته ، وما قدرته الرائعة على تنظيم الكلام سوى جزء من قدرة أكثر روعة على تنظيم تجربته . ويفسر هذا لنا استحالة ابداع الشعر عن طريق مجرد الذكاء والدراسة أو الصنعة والحيلة ..) .

واذا كان نفر من الأقدمين ارتأوا أن الشعر هو الكلام الموزون ، أو أن أعذبه أكذبه ، أو ما شاكل هذه المفارقات العجيبة التي جعلته في ميدان للمساومة ، وهي تتناقض مع المعنى الكامل للشعر . فالشعر بحق يحس به القارىء الواعي سلسالا في نفسه ، دفاقا مع مشاعره ، وذلك تبعا لما عانى فيه الشاعر عناء المخاض ليكسبه من أعماقه أرق وأجمل وأروع صياغة ، بالهام نبضاته السخي ، وعن تجربته الصادقة الموحية .

ويتفق مع هذا القول من زاوية هامة رأي الناقد هاملتون مؤلف كتاب الشعر والتأمل ، حيث يقول : (واذا كان الشاعر فنانا صادقا فانه لن يكتشف ما هو الشيء الذي سيولد انفعالا في نفوس قرائه بقدر ما يكتشف الشيء الذي يولد انفعالا في نفسه . ان ما يحتاج اليه الشاعر قبل كل شيء هو الطاقة الابداعية والاحساس النقدي بالألفاظ) .

وهذه بحق من الدعامات الأولى للاصالة الشعرية . . فالى جانب الاحساس الجمــالي والموسيقي عند الشاعر الأمين على فنه .. يكون قد توفرت عنده أحاسيس ملتصقة بذاته لتقييم انتاجه ونقده وغربلته وادائه الفني الدقيق . كلما أفرغ من عصارة فكره هذه النفحات الصافية صفاء روحه ونظرته الحالمة ، وما تسمى فيما بعد بالقصيدة ، أي بداية مرحلة انطباعية ، انطلق فيها الشاعر ليقول مقالته مترجما خواطره الى تعابير نابضة وصور صادقة . فاذا هو وقد فرغ من تشييده الفني ، نراه لم يقل بعد كل ما أراده ، ولم يعرض كل تصوراته الشاعرية .. لماذا ؟ لأنه الشاعر الحقيقي .. شاعريته أكبر مــن الأحداث .. من الانفعال .. ومن اللفظ .. ومن التجربة ..

وهذا ما يحسن أن نتوجه به الى كل من نظم شعرا ، ولكل من عرف أهمية الكلمة ، ليركز جهده ، كل جهده في أن يجيد دارسا ومنتجا وناقدا ومتعمقا ومتأملا وحالما ، ولان يفتن ويبدع وأن يغوص باحثا عن اللآلىء ومكتشفا أسرار الأحلام ، ومخالطا مسرى الوجدان حتى اذا همّ بعمل أتم صياغته مشرقا رقراقا ، له كل مقومات الشاعرية الصادقة والفن الأصيل . ان هذا العمل الناجح قطعة من نفس صانعها القوي . واذا لم

تكن القصيدة هي هـذه القطعة الخالصة ، فمن التجني أن نسميها شعرا .

فالشعر ليس النظم والقافية فقط ، وهذا لا يعني اننا نؤمن بالخروج عن القاعدة الموسيقية الأصيلة التي بنى عليها الخليل بن أحمد بحوره وموازينه والتي هي أساس البناء الشعري والدعامة الرئيسية لهيكل القصيدة عامودية كانت أو رباعية أو ثنائية ، لهـا مقوماتها وأهدافها . وما يسمونه بالشعر الحر أو الشعر الجديد .. خليق بأن يسمى بشعر اللامعقول ... وهو في الواقع في أكثره ، نثر فني . وهذا أيضا عدا ما يطالعنا به فريق في بعض البلدان العربية ممن التزموا الاسراف في الغموض والرمز ، ورصفوا كلماتهم دونما التزام بالمألوف مـن الموسيقى الشعرية ، وادعوا أنهم مجددون وأصحاب مدرسة جديدة في الشعر . والدليل على انحراف طريقتهم ان معظم محاولاتهم فاشلة وليست مقبولة أصلا عند جمهرة المثقفين ورواد الشعر والفكر .

ان لدينا شعراء مجيدين ، ولكن غالبيتهم تقليديون . ولسنا نقصد بالتقليد هنا المعنى العمودي للشعر أو السنن التي جرى عليها الأقدمون ، وانما نرمي الى أن شعر أولئك لا يريد أن يخرج عن هذا الروتين المتجمد : ألفاظ اعتيادية ، أو خيال محصور أو تعبير مستهلك ، أو أفق متزمت تدور فيه المشاعر عودا على بدء . والشعر اذا عانى من احدى هذه العلل فقد ميزة كبرى من مقوماته الفنية . فكيف اذا اجتمع بعضها أو كلها في مثل ما ينشر من ذلك الغثاء ، وتعرضه الصحف على انه من شعر ناشئة ، أو نفثات يراع من استطاع أن يجد له ذريعة من عمله في صحيفة ما ، فاذا هو الأديب المفن أو الشاعر الموهوب . ويتناسى انه وليد مجاملة وصنيع من يستحق اللوم لأنه يقدم متطفلا على مائدة المعرفة !؟ لماذا ؟ لأنه يحب أن يظهر في الميدان ولا من سلاح الا اليد التي تسنده والعجب الذي أخذ بتلابيب نفسه . وانها لبلية أخرى تعاني منها الحركة الشعرية في بلادنا ، فاذا لم تتخلص منها ولم ينطلق شعراؤنا الى العالم الأرحب عمقا وتفتحا وتفننا ، فان هـذه الحركة ستوصم بالجمود بل وبالتأخر .. ويتهم معها شعر القلة الذي استطاع أن يثبت وجوده ويحقق التجاوز الى المراحل العملاقة في هذا الفن العريق الخالد .

وحتى نحقق الانطلاقة الشعرية بصفة شاملة ، لا بد من الصمود أمام كل تيار وازالة العوائق المختلفة . ولا بد من التفاعل مع متطلبات هذه الانطلاقة بالتزود المستمر من كل جديد ، والتركيز دائما في كل ما نصور ونعبر ونصوغ .

فالشعر الصادق بالاضافة الى ماذكرنا يعيش دائما في حرية مطلقة ، مجالاته : الحرارة المغذية والحرف الأنيق ، والعبارة المشرقة ، والروح المؤنسة ، والطبيعة المتجاوبة مع الغير ، والا فما قيمته ومامعناه ؟؟

والشعر قبل كل ذلك صدى تجربة عنيفة ، واحساس غامض ، قيمتهما في أن يظهرا متفاعلين في أجلى وأرق وأكمل كيان .. هذا هو الشعر .



القلوب

• قال السرى السقطي : « القلوب ثلاثة : قلب كالجبل لا يزيله شيء ، وقلب كالنخلة أصلها ثابت والريح تميل برأسها ، وقلب كالريشة يميل مع الريح يمينا وشمالا . »

حكمة عمر

• سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا عن شيء ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : لقد شقينا ان كنا لا نعلم ان الله أعلم .. اذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه ، فليقل : لا علم لي .

درء السيئة

• يخطىء من يقول أن الشر بالشر يطفأ . فان كان صادقا ، فليوقد نارين ، ولينظر هل تطفىء احداهما الأخرى .. وانما يطفىء الخير الشر كما يطفىء الماء النار .

الاخلاق والهوى

• قال سعيد بن اسماعيل الخيري : « الناس على أخلاقهم حتى يخالف هواهم ، فاذا خولف هواهم بان ذوو الأخلاق الكريمة من ذوي الأخلاق اللئيمة . »

العقل

• سئل اعرابي عن العاقل متى يعرف ؟ قال :
— اذا نهاك عقلك عما لا ينبغي ، فأنت عاقل .

أربعة أصابع

• سئل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « كم بين الايمان واليقين ؟ » قال : « أربعة أصابع . » قيل : « وكيف ذلك ؟ » قال : « الايمان كل ما سمعته أذناك وصدقه قلبك ، واليقين ما رأته عيناك فأيقن به قلبك ، وليس بين العين والأذن الا أربعة أصابع » .



منظر جوي لجزيرة «أرواد» ، حيث تبدو أمواج البحر وهي ترتطم بسور المدينة الحصين .

«أرواد» في ماضيها وحاضرها

بقلم الاستاذ أكرم ساطع

محافظ متحف طرطوس بسوريا

على بعد ثلاثة كيلومترات من شاطيء مدينة طرطوس السورية ، يرى المرء أمواج البحر الأبيض المتوسط تلطم صخرة تمتد من الشمال الى الجنوب بنحو ٧٠٠ متر ومن الشرق الى الغرب بنحو ٤٠٠ متر .

هذه الصخرة مع ابنتها(١) ، جزء من تضاريس الصخور المميزة للساحل السوري– اللبناني ، والتي تمتاز بقلة تعرضها للرمال . وعلى هذا الساحل المحروم من المرافىء الطبيعية كانت كل صخرة في عرض البحر تشكل موقعا صالحا لرسو المراكب تحميه الصخور الطبيعية ، وفي حماية هـذه الصخور كانت المراكب تفرغ حمولتها .

كان يعيش في هذه الجزيرة منذ أقدم الأزمنة عدد كثيف من السكان ، ولا تزال كذلك الى يومنا هذا . مساكنها متلاصقة ذات طابق أو طابقين ، لا تترك بينها من الطرق الا دروبا ضيقة ومتعرجة بحيث يتعذر على أية عربة المرور فيها . وقد قيل في أرواد : « انها تبدو كآخر مدينة فينيقية » لأنها من بقايا الأماكن النادرة في التاريخ ، كما كانت مدن صور وصيدا وجبيل وأوغاريت قديما .

اشتهر سكان أرواد منذ غابر الأزمان بصناعة المراكب ، ولا تزال تعتبر أول مركز لبناء أجمل السفن الشراعية في شرقي البحر الأبيض المتوسط ، والأنواع المعروفة لديهم هي : السكونا ، والغـيز ، والكيك ،

(١) بنت أرواد : صخرة تقع في الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة ، فصلت عنها بعد بناء السور سواء عن طريق الخسف أو عن طريق التآكل البحري .

والفلوكا . ولكل نوع من هذه الأنواع صفات ومزايا معينة . فالسكونا مثلا هي أكبر هذه الأنواع ، تجوب عرض البحار بحمولة قدرها ٥٠٠ طـن ، أما النوع الأخير فهو أصغر المراكب المعروفة ويستعمل للصيد على طول الشواطىء .

لقد أحاط الأرواديون ، بالفطرة ، بعلم الأنواء ، فهم يطلقون أسماء معينة على الرياح التي تهب على البحر ، وذلك حسب اتجاهاتها في كل فصل من فصول السنة ، وقد يتوقعونها مقدما قبيل حدوثها ، كما انهم ماهرون في الملاحة ، ولا حاجة لهم باستعمال الخرائط البحرية على الرغم من انهم يصلون الى البحر الأسود والبحر الأحمر فضلا عن تنقلهم في مرافىء حوض البحر الأبيض المتوسط وذلك سعيا وراء الربح في المبادلات التجارية ، أو كبحارة ماهرين في السفن الأجنبية ، أو كعمال في المرافىء .

ان أكثر الرجال يتخذون صيد الأسماك والاسفنج مهنة لهم . والمراكب المفضلة لهذه الغاية هي التي من نوع (الفلوكا) ، وشبكة الصيد تسمى (جاروفة) ويتنوع استعمالها حسب الأمكنة الرملية أو الصخرية . وكانت تصنع في غابر الأزمان من خيوط الكتان ، ثم تطور صنعها من خيوط النايلون لمتانته وسرعة جفافه .

تدل الاحصاءات الرسمية على أن ما تصطاده هذه الجزيرة من الأسماك في كل عام يفوق ما تصطاده المرافىء السورية الأخرى من الأسماك مجتمعة . وغطاسو هذه الجزيرة قادرون على الغوص الى عمق يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ مترا تحت سطح الماء دون الاستعانة بمعدات خاصة . ويستعملون من أجل ذلك المراسي الحجرية المعروفة لديهم باسم (بولص) حيث يقذف أحدهم بنفسه الى الماء ثم يعلق شعب المرساة بين الأعشاب التي تنبت على الصخور الكلسية ليبحث عن ضالته ، فيعثر أحيانا على حطام مركب قديم ، أو مراسٍ من الرصاص تعود الى العهد الروماني ، وقد يعثر الغطاس أحيانا على بعض الأواني الفخارية ذات الطراز الفارسي أو الروماني أو البيزنطي التي كانت قد غرقت في العصور السالفة لتحكي قصة سباتها العميق بين طيات الرمال والأعشاب البحرية وقد بدت على سطحها آثار النباتات والترسبات واضحة المعالم .

يقتني متحف طرطوس نماذج مختلفة من هذه الأواني الفخارية ، بالاضافة الى نماذج رائعة من الاسفنج والأصداف المتنوعة .

لسكان الجزيرة تقاليد وعادات ورثوها عن آبائهم وأجدادهم . فظروفهم المعيشية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبحر على الرغم من أنهم لا يبعدون عن اليابسة سوى بضعة كيلومترات . يغادر أحدهم جزيرته الى عرض البحر فيمكث بضعة أشهر أو بضع سنوات متنقلا من مرفأ الى آخر ليعود بعد ذلك الى وطنه وقد أضناه الشوق والحنين ، فيستقبل بالترحاب وتعقد في داره حلقات السمر ، ويدور حديث ذو شجون بين الأهل والخلان .

هذه لمحة عن حاضر أرواد فماذا عن ماضيها ؟

اذا عدنا الى التاريخ نسأله عن الجزيرة ، فانه يشير الى التوراة ، والرقم الفخارية الأوغاريتية ، ورسائل تل العمارنة ، والى ما سطره كتاب ومؤرخون أقدمون أمثال هوميروس وسترابون ، كما اننا نرى بصمات الماضي الموغل في القدم واضحة المعالم في السور والقلعة والبرج .

لقد كانت أرواد دولة كنعانية (٢) هامة ، بسطت سلطانها على معظم الساحل السوري ، وبقيت كذلك حتى استولى عليها تحتمس الثالث الفرعوني ، في القرن الخامس عشر (ق . م) وذلك أثناء حملته الخامسة المعروفة . فبسط نفوذه على السهل الفينيقي وأحكم قبضته عليه .



البرج الأيوبي المطل على الجهة الشرقية من جزيرة أرواد .

---

(٢) من المعلوم أن الكنعانيين الذين سماهم اليونان بالفينيقيين فيما بعد جماعة سامية لعبت دورا هاما في تاريخ سورية بعد الأموريين ، وانتشرت مدنهم الأولى على طول الساحل من جبل (قاسيوس) جبل الأقرع اليوم حتى الكرمل في الجنوب .

لقد سجل تحتمس انتصاراته على جدران معبده في (طيبة) ، وذكر أسماء المدن التي فتحها ، وتشهد لائحة الغنائم التي حملها معه من عاج وأبنوس وحلي وفضة وحجارة كريمة وخشب الخرنوب المطلي بالذهب بغنى البلاد وحضارة سكانها الرفيعة .

وقبيل غروب شمس القرن الثالث عشر (ق . م) اجتاحت شعوب البحر مراكز الحضارة على الساحل السوري فدمرت أوغاريت (٣) . وشاء القدر أن تخرج أرواد سالمة من هذه الهجمات البربرية ، فزادت أهميتها وعلا شأنها ، وتبوأت مركز الحضارة لا سيما بين القرنين الثاني عشر والثالث (ق . م) . وهو زمن ازدهار المدنية الفينيقية ، وانتعاش المبادلات التجارية الدولية في أرجاء البحر الأبيض المتوسط . وقد ساهم الأرواديون في اقامة علاقات في ميادين الأدب والدين والفن الزخرفي بين بلاد اليونان الناشئة والمدنيات الشرقية ، فكانت سفنهم تحمل ، علاوة على ما تحمله من شحنات البضائع ، أمورا قيمة سامية تمثل حضارات متنوعة أتى بها التجار لينشروها بين الشعوب التي احتكوا بها . فلعبوا بذلك دور الوسطاء من الناحيتين الفكرية والروحية ، كما كانوا من الناحية التجارية . وقد عرف عن الأرواديين ، شأنهم شأن بقية الكنعانيين خلال تاريخهم الطويل ، أنهم كانوا عشاق السلم لا يميلون الى الأعمال الحربية .

لقد كانت أرواد في جميع العصور مرفأ مهما يتمتع بخط دفاع مزدوج ، وكان مواطنوها يحتلون موقعين أحدهما في البر حيث كانوا يتاجرون أو يزرعون بساتينهم ، والآخر في جزيرتهم الصغيرة يلجأون اليها كلما تدفق اليها الفاتحون . وقد امتدت مملكة (ستراتون) الأروادي شمالا حتى اللاذقية ، وشرقا حتى نهر العاصي ، وجنوبا حتى نهر الكبير الجنوبي (أوليتير) الذي اقترن سهله الواسع الفسيح المعروف لدى القدماء باسم (ماكروبيدون) بالخصب في أذهان المستعمرين اليونان ومن بعدهم الصليبيين.

لقد كانت ممتلكات الجزيرة في عهد الاحتلال الفارسي ضمن الولاية الخامسة (مرزبانة) التي تمتعت بازدهار في ظل السلم كمركز من مراكز التجارة العالمية . ولا يخفى أن الفرس كانوا يعتمدون على الموارد الفينيقية لتوسيع امبراطوريتهم ، وعلى الأسطول الفينيقي الذي كان عماد البحرية الفارسية في هجومها على مصر بقيادة (قمبيز) وفي هجومها على اليونان بقيادة (احشويروش) .

هذا ويجدر بنا أن نشير الى بعض الممتلكات الأروادية على الشاطىء كمدينة (ماراتوس) عمريت ، وأنهيدار (٤) ، وكارنه (٥) . وتقع الأولى على بعد سبعة كيلومترات جنوبي طرطوس ، وقد اشتهرت بمعبدها المحفور في الصخر تنساب من حوله مياه النهر المعروف قديما باسم (ماراتيس) (٦) .

بعض الحجارة الضخمة الباقية من سور أرواد في الجهة الغربية من الجزيرة .





---

(٣) راجع عدد رجب ١٣٨٥ من قافلة الزيت . (٤) أنهيدار : موقع تل الغمقة ، يقع الى الجنوب من طرطوس بمسافة ١ كم .
(٥) كارنه : تل القرنين يقع الى الشمال من طرطوس بمسافة ٢ كم . (٦) ماراتيس : نهر صغير يسمى اليوم (نبع التل) لدى أبناء المنطقة .



شعار « لوزينتيان » المنحوت على مدخل البرج من
ـة الغربية، وهو يمثل أسدا يجابه شجرة نخيل .

جانب آخر من بقايا السور الواقعة على امتداد
ـة الشمالية من جزيرة أرواد .



فعمريت كانت أحد المراكز الدينية التي تذكرنا بنبع (أبولون) في (سيرين) وبمنشآتها في التل الأثري المجاور ، وبمجموعة المدافن الصخرية المعروفة محليا (بالمغازل) ، وبالمدرج الروماني الذي شرع في بنائه في عهد الرومـــان ولكنه لم ينجز .

كانت هذه المدينة عامرة مأهولـــة بالسكان عندما دخلها الفاتح الكبير الاسكندر المقدوني حيث تبادل مع (داريوس الثالث) رسائل المفاوضات الدبلوماسية . وفي هذه المدينة أيضا استقبل ملك أرواد (جيرو سترات بن ستراتون) الاسكندر ، وقدم اليه في خضوع مملكة أبيه . وبعد هذا التاريخ أطلق على الجزيرة اسم (أرادوس) (٧) . وفي بدايـــة السيطرة اليونانيـــة ، توقفت أرواد عـــن ضرب النقود فترة من الزمن وصارت تصك باسم الفاتح الاسكندر . كمـــا انشئت معامل أخرى لضرب النقود في (كارفـــة) وعمريت .

أما (سيميرا) فقد كانت آخر ممتلكات أرواد في تلك المنطقة ، سقطت في أيدي الغزاة الفاتحين . ويعتقد بأن موقعها هو (تل الكزل) الذي يبعد نحو ٢٨ كيلومترا جنوبـــي طرطـوس حيث يتوسط السهل المعروف باسم (ماكروبيدون) الآنـــف الذكر . وقد أصاب المدينة ابـــان الحملة السادسة التي قادهـــا تحتمس مـــا أصاب جارتها أرواد في الحملـــة الخامسة .

هذا ، وقد كشفت الحفريات الأثرية عن المنازل الكنعانية التي يعود عهدها الى القرن الخامس عشر (ق.م) فكانت هزيلة البناء والعمران والتخطيـــط الهندسي بوجه عام . وقد عثر على طبقات تعود الى العهد الآشوري والعصرين الفارسي والهليني ، كما عثر أيضا على قطع نقـــد أروادي .

وفي سنة ٦٤ (ق.م) أصبح الساحل السوري جزءا من الولاية الرومانيـــة ، وانقسمت سوريا في ذلك العهد الى أربعة أجزاء كان أحدها يدعى (سولوسيد) ، وأهم مدنه أرواد واللاذقية على الرغم من انتقال مركز التجارة البحرية الى انطاكية والاسكندرية واليونان .

وفي أواخر القرن الرابع للميلاد ، وقعت جزيرة أرواد في قبضة البيزنطيين ، وغدت جزءا من امبراطوريتهم حتى عام ٦٣٧ للميلاد . لقـــد كان هذا العام صفحة



نماذج لبعض النقود التي كانت تضرب في جزيرة أرواد في العهدين الهليني والروماني .

(٧) أرادوس : اسم غير سامي .

جديدة في تاريخ الجزيرة ، ذلك أن البيزنطيين انهزموا أمام طلائع حاكم حمص عبيدة بن الصامت الانصاري فانضوت الجزيرة منذ ذلك التاريخ تحت راية الاسلام .

وفي أواخر القرن الحادي عشر وقعت الجزيرة في أيدي الصليبيين فاستولوا عليها . وقد شرع هؤلاء في بناء الحصون ، فأشادوا حصنين يحمل أحدهما شعار (لوزينيان) (٨) . وبقيت أرواد تقاوم حكم الصليبيين حتى استطاعت ، بمؤازرة جيش السلطان مالك الأشرف ، طرد الدخلاء ، وكان ذلك في عام ١٣٠٣م .

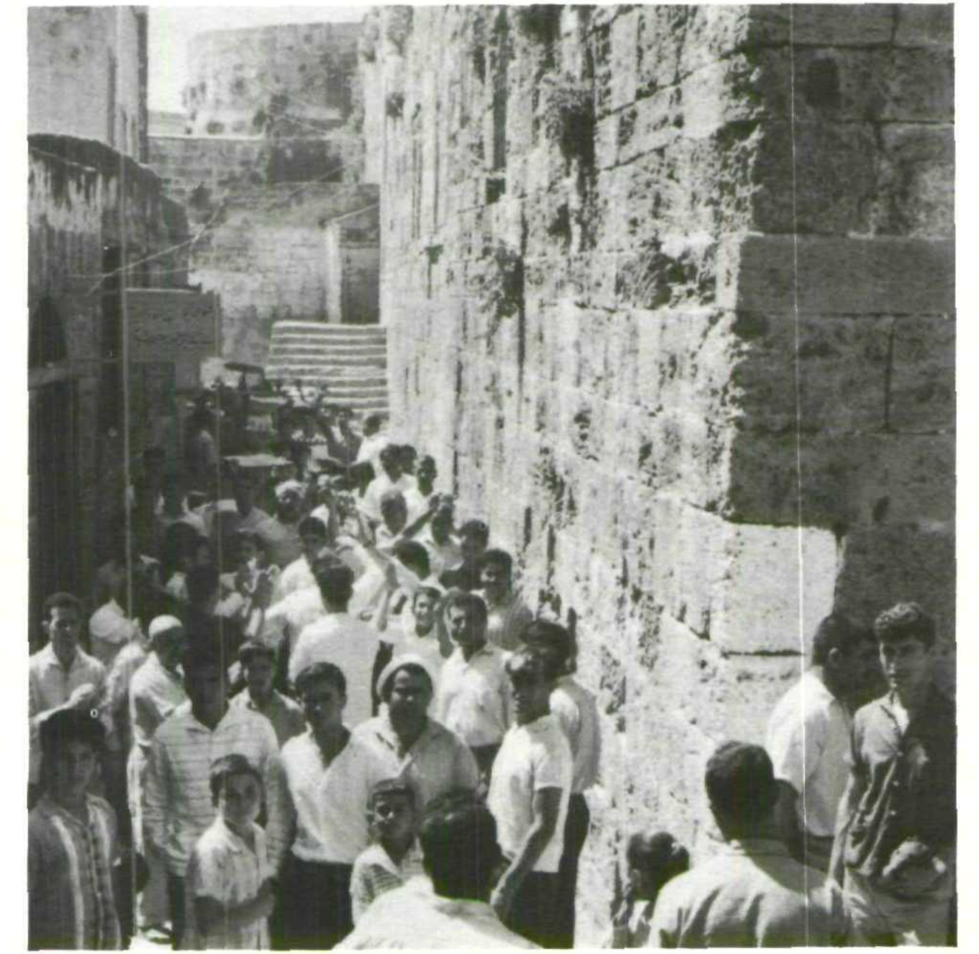
ولما وقعت البلاد السورية في القرن السادس عشر الميلادي في حكم العثمانيين ، أدخلت تعديلات على شعار (لوزينيان) فأضافوا اليه سلسلة تربط الأسد بشجرة النخيل .

واذا طاف المرء اليوم بالجزيرة فانه يرى أوابدها الأثرية لا تزال شامخة تزهو ، فالسور بحجارته الضخمة كان في الدرجة الأولى وسيلة من وسائل الدفاع ضد البحر . وتشير أكثر الظواهر الى أن هذا السور يعود عهده الى العصر الهليني ، علما بأن ثلث جدران البحر في الجهة الغربية منحوت في الصخر ، كما ان قسما منها مزدوج .

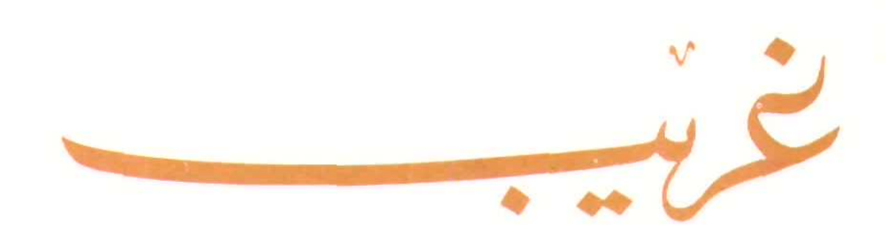
ومما يدل على مهارة الأرواديين وبراعتهم في ضمان التزود بالمياه ، تمكنهم من توصيل مياه نهر (ماراتيس) الى جزيرتهم بواسطة قساطل من الفخار أو بأنبوب جلدي يمتد تحت سطح البحر . وربما كان هذا أقدم ما سجله التاريخ بالنسبة الى نقل المياه العذبة تحت سطح البحر . ومن بين الآثار التاريخية البارزة التي تحكي قصص البطولات العربية وصراعها ضد الغزاة في القرون الغابرة « البرج الأيوبي » المطل على الجهة الشرقية من جزيرة أرواد .

الصخرة الصلداء التي تعرف بـ « بنت أرواد » .

جانب من الأبنية القديمة في أرواد وقد اكتظ أحد شوارعها الضيقة ببعض المارة .



(٨) شعار منحوت على مدخل البرج من الجهة الغربية يمثل أسدا يجابه شجرة النخيل ، وشجرة النخيل تعني البلاد العربية الاسلامية .



للشاعر محمد احمد فقي

غريب الدار في المنأى ... أضاع العيش والعمرا
طوى عشرا وقد يطوي ... سنينا مثلها عشرا
اذا أمسى يلاقي الويل ... مشبوبا به يفرى
يتيه بليله قلبا ... ضليلا خانه المسرى
ومن عينيه كم درت ... دموع بالشجا حرى
وفي جنبيه لو تدري ... حنين لاذع يترى
وفي أحشائه الثكلى ... جوى الأشواق كم أورى

* * *

يظل الليل في أرق ... فان طافت به الذكرى
تداعى قلبه وجدا ... وماتت نفسه قهرا
وأمضى ليله شوقا ... لجوجا يثقل الفكرا
وعاد الهم يستشري ... بنفس تجرع المرا

* * *

غريب عنك كم يرجو ... اليك العود يا مكه
فكم آذاه هذا البين ... لو تدري وكم شكه
حياة كلها ليل ... وعيش كله حلكه
حرمت الأنس في بعدي ... وحتى لذة الضحكه
وأنّى والأسى ليث ... هصور فاغر فكه
غريب للنوى القاسي ... أسير يشتكي ضنكه
وما في الكون معوان ... رحيم يبتغي فكه

* * *

سألت الله رب الكون ... من أرسى به ملكه
ومن انشا قديم الد ... هر هذا البيت في بكه
ايابا عاجلا يحمي ... بقاياي من الهلكة
وان ينهي حياة البعد ... والآلام عن مكة



شعراء مغمورون في العصر الجاهلي والاسلامي

بقلم الاستاذ محمد عبد الغني حسن

إن أمر الحظوظ في هذه الدنيا عجيب . فمن الناس من يدركهم الحظ ويلمسهم ولو لمسة خفيفة بعصاه السحرية ، فاذا الدنيا تقبل عليهم ، والشهرة تنعقد لهم ، وفم الزمان ينادي باسمهم . ومن الناس مجدون ومجودون ولكن حظهم خامل ، ونجمهم آفل ، فترى النسيان يغمرهم ، والشهرة تبتعد عنهم .

خذ مثلا شعراء الجاهلية ، والشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الاسلام ، تجد أن الشهرة العريضة ، والعناية الواسعة أحاطت بأمثال امرىء القيس ، وزهير ، والأعشى ، والنابغة ، وعنترة ، وطرفة ، وحسان بن ثابت ، والخنساء ومن اليهم ، كما انها ابتعدت عن طائفة مجيدة مجودة من أمثال « حميد بن ثور الهلالي » ، و سحيم » ، وحفنة أخرى غير قليلة من شعراء الهذليين ...

ولقد ظل الشاعر ابن الرومي — من شعراء العصر العباسي — منسيا مهملا الى أن أدركته العناية في زماننا هذا . فاهتم به عبد الرحمن شكري ، والمازني ، والعقاد ، وكامل كيلاني ، ومحمد شريف سليم من العرب ، وجرمانوس المجري وغيره ، تناوله هؤلاء بالدراسات الجادة الرصينة .

ولقد ظل الشاعر سحيم وحميد الهلالي ، وبعض الهذليين منسيين الى أن اهتم زماننا هذا بهم ، فجمع شعرهم ، وطبعت دواوينهم ، ونرجو أن تتناولهم قريبا الدراسات الجادة الرصينة كذلك . ولقد كان « سحيم » عبدا أسود ، وكانت فيه لكنة أعجمية ، فيقول مثلا : « أهسنت والله » وهو يريد أن يقول : « أحسنت والله » . وقد امتد به العمر فأدرك الاسلام وقتل في زمن عثمان بن عفان .

وبلغ من اصابة القول عند الشاعر سحيم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بشعره وخاصة قوله : « كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا » .

وقد اشترك مع الشاعر عنترة العبسي في سواد اللون ، وفي الدفاع عن السواد . فاذا كان عنترة يقول :

لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسب
يوم الزحام اذا ما فاتني النسب

فان سحيما يقول في الغرض نفسه :

ليس يزرى السواد يوما بذي اللب
ولا بالفتى اللبيب الأديب
ان يكن للسواد في نصيب
فبياض الأخلاق منه نصيبي

ويذكرنا الشاعر سحيم الجاهلي المخضرم بالشاعر الاسلامي عمر بن أبي ربيعة ، فكلاهما كان يطيل التشبيب بنساء قومه ، وكلاهما لم تسلم امرأة من تغزله وتشبيبه بها . ولقد جر هذا على الشاعر سحيم مقتله بيد جماعة من قومه لأنه كان كثير التشبيب بنسائهم ، فرأوا الخلاص منه بقتله على الرغم من شجاعته واشتهاره باجادة الرمي .

ولقد كان جميلا أن ينشر ديوان سحيم العربي بتحقيق عالم من علماء الهند المعاصرين هو الأستاذ « عبد العزيز الميمني » رئيس قسم اللغة العربية بجامعة « عليغرة » بالهند . كما كان جميلا أيضا أن ينشر ديوان « حميد ابن ثور الهلالي » الشاعر المخضرم بتحقيق الأستاذ الميمني نفسه ، كأنه شاء — حفظه الله — أن ينصفهما من أغفال الزمان ، ونسيان الأيام .

ويلفت نظرنا من الشعراء المخضرمين ان أكثرهم من المعمرين ، فسحيم امتد به العمر الى أيام عثمان كما قلنا ، وحسان بن ثابت قد أطال به الأجل بعد أن أدرك من الجاهلية زمانا ، ثم توفي في السنة الرابعة والخمسين من الهجرة . وكذلك الخنساء فقد أدركت الاسلام وهي عجوز ولها أربعة أولاد كبار ، اشتركوا في حرب القادسية ، واستشهدوا فيها عملا بوصية أمهم ، فلما بلغها نبأ استشهادهم قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ! . وكذلك حميد الهلالي كان من المعمرين ، فقد روى أنه امتد به العمر الى عهد عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بني أمية .

وتدلنا بعض أشعار حميد الهلالي على انه كان حقيقة معمرا أطال به الأجل ، وأضعفه الكبر ، وأحنى ظهره الزمان . وحين بلغ من الكبر عتيا أخذ يندب شبابه المدبر ، ويتحسر على ما ضاع من أيامه . وهي نغمة نجدها دائما عند المعمرين ،

سواء أكانوا شعراء أم غير شعراء ..! ومما يروى له في التحسر على الشباب قوله :

لقد ركبت العصا ... حتى قد اوجعني

مما ركبت العصا ظهري وأظفاري !

لا أبصر الشخص الا أن أقاربه

معشوشيا(١) بصري من بعد أبصار !

ولا تكاد المصادر والمراجع تسعفنا بما نطلبه من السيرة المفصلة للشاعر حميد الهلالي في جاهليته واسلامه ، لولا تلك الأخبار والنتف المبعثرة هنا وهناك ، والتي نستطيع أن نلم منها حياة الشاعر في سطور . ومن عجب أن حميدا هذا لم يجمع له شعر في ديوان قائم بذاته ، الا ما جمعه الأستاذ الميمني في طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥١ التي نشرت أخيرا في طبعة مصورة . وكثير من شعره يستشهد به في كتب النحو ، واللغة ، والصرف ، والأمثال .

ويظهر أنه كان من الشعراء الهادئين الذين اعتنقوا الاسلام في صمت وهدوء . فلم يقف من الدعوة الاسلامية موقف الشاعرين : حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة — مثلا — في الدفاع عنها ، ونصرة نبيها ، ومهاجاة المشركين ، بل اكتفى بالقبول لها ، والدخول فيها ، شاكرا الله ، ساجدا له ، مؤديا الزكاة ، ومقيما الصلاة ، و قائلا في هدوء : —

حتى أرانا ربنا محمدا

يتلو من الله كتابا مرشدا

فلم نكذّب ، وخررنا سجّدا

نعطي الزكاة ، ونقيم المسجدا

ولقد أدرك حميد الهلالي ، كما أدرك غيره من شعراء العرب ، تفاهة الحياة وغرورها ، وعدم دوامها على حال واحدة ، وقصر الأيام مهما طالت ، وتقلب الحياة بالأحياء ، ما بين اعطاء وأخذ ، وزيادة ونقص ، واقبال وادبار ، وسعد ونحس ، ومثل هذا الادراك قد يسبب عند بعض الشعراء انتهاء الى فلسفة انتهاب اللذات ، وسرعة الاستمتاع ، واقتناص فرص اللهو ، ما دامت الحياة زائلة ، والصور حائلة والدنيا باطلة ، كما تجده — مثلا — عند الشاعر المخضرم « سحيم » الذي يحض على انتهاب اللذات ما دام الموت نهاية كل انسان ، ويقول في ذلك :

فان لم تلاق الموت في اليوم فاعلَمنْ

بأنك رهن أن تلاقيه غدا !

فتصبح في لحد من الأرض ثاويا

كأنك لم تشهد من اللهو مشهدا !

وكان سلوك الشاعر « سحيم » في الحياة تطبيقا عمليا لهذه السياسة ، فاستهتر وأسرف على نفسه في اللذات . أما معاصره الشاعر حميد الهلالي فقد مال به ادراك غرور الحياة الى القصد والاعتدال في طلب الحياة ... فما تكالب على مال ، ولا تهافت على لذة ، ولا أسرف في لهو ... وما أصدقه وهو يقول في هذا المعنى :

وكائن لقينا من نعيم ولذة

وأعجبنا المصطاف والمتربع !

وقلنا : لعل الماء يربو فنقتني

وعل غلاما ناشئا يترعرع !

أماني عام بعد عام تعللت

بأمثالها للناس عاد وتبع

ولكنما الدنيا غرور ، ولا ترى

لها لذة الا تبيد وتنزع ..

فلله ما فوق السماء وتحتها

له المال ، يعطي من يشاء ويمنع ..!

ولا نستطيع أن نعد « حميدا » شاعرا حكيما يقف على المستوى الذي يقف عنده الشاعر الجاهلي الحكيم « زهير بن أبي سلمى » . فزهير قد امتلأ شعره بالحكم ، وازدحم بالأمثال ، حتى لنجد له في معلقته الميمية أبياتا حكيمة كثيرة ، وخاصة تلك التي تبدأ بقوله : (ومن) . كمثل قوله :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله

على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه

يهدّم ، ومن لا يظلم الناس يظلم

أما الشاعر حميد الهلالي فلم يكثر في شعره من الحكمة والمثل ، وان كان يروى له هنا وهناك بيت حكيم يصح للتمثل به والاستشهاد . ومن أبياته في ذلك قوله :

قضى الله في بعض المكاره للفتى

برشد ، وفي بعض الهوى ما يحاذر

ومن أبياته المشهورة السائرة مسير الأمثال قوله :

اذا لم يحدثك الفتى عن بلائه

أتاك بما يبلى الفتى من يعاشره

وقوله من قصيدة أخرى :

وقد يركب الأمر الذي ليس حاله

اذا ما أضاقته اليه الضرائر

ويظهر ان الهدوء كان غالبا على طبع الشاعر « حميد » ، كما كان الاعتدال مزية في سلوكه في الحياة والمجتمع . وهو في هذا على الضد من معاصره الشاعر « سحيم » الذي كان متطرفا في كل شيء . ولقد مدح الشاعر « حميد » ، وهجا ، وتغزل ، وتهكم ، ونظم في أغراض أخر ، ولكنه لم يكن مسرفا ولا مجاوزا الحد ... لقد كان يجري في ذلك كله باعتدال ، مع انه كان من الممكن أن يهجو — مثلا — ويطيل لسانه في أعراض الناس ، كما فعل عبد الرحمن ابن الحكم ، وحسان بن ثابت ، والحطيئة الذي لم يسلم من لذعات لسانه أحد ، حتى أبوه ، وأمه ، بل نفسه حيث يقول :

أرى لي وجها شوه الله خلقه

فقبّح من وجه وقبح حامله !

ولعل أشد هجاء لحميد الهلالي لذعا وسخرية ، هو ما قاله يهجو به الربيع العامري حين كان واليا على اليمامة . فقد ذكرت بعض كتب الأدب أن « الربيع » هذا بلغ من حمقه أنه أخذ القود — أي الثأر — من كلب لكلب آخر ، لأن أحد الكلبين عقر صاحبه ! ! وقد شاعت هذه الحكاية وذاعت ، حتى تندر بها الناس على الربيع ، ووجدها الشاعر حميد فرصة مواتية للسخرية من هذا الوالي ، فقال فيه :

شهدت بأن الله حق لقاؤه

وان الربيع العامري رفيع !

أقاد لنا كلبا بكلب ، ولم يدع

دماءً كلاب المسلمين تضيع !

وقد روت كتب التاريخ والأخبار ان الشاعر حميد الهلالي أدرك عهد الخليفة عثمان ، وأدرك مقتله . وقد أحس شاعرنا خطر الموقف حينذاك ، فقال فيه شعرا رقيقا مؤثرا ندع روايته لمن يفضلون أن يطلعوا على ديوان كامل لشاعر مخضرم مغمور .

---

(١) أعشوشى البصر = أصيب بالعشا .

سيكولوجية الرسالة

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

أي انسان منا لم يمسك يوما بالقلم لكي يخط رسالة الى صديق أو حبيب أو قريب ؟ ومن منا لم يتمنّ في قرارة نفسه لو كان المرسل اليه حاضرا بشخصه ، حتى يتحدث اليه وجها لوجه ، بدلا من الاقتصار على الكتابة اليه بلغة المداد والقلم ؟... ومع ذلك فان قلة منا هي التي خطر على بالها يوما أن تحلّل سيكولوجية « التراسل » ، أو أن تتعمق دلالة « الرسالة » .. وأما الباحثون النفسانيون فانهم قد وجدوا في « التراسل » مادة خصبة للتحليل السيكولوجي ، فراحوا يدرسون عملية كتابة الرسالة لمعرفة الدوافع النفسية التي تكمن وراءها والعقبات الذاتية التي قد تصطدم بها ، والأنماط الشخصية التي تتجلى من خلالها ... الخ . ومن مجموع هذه الدراسات نشأ ما اصطلحنا على تسميته باسم « سيكولوجية الرسالة » ، وهو ما سنحاول أن نلقي عليه بعض الأضواء في هذه العجالة القصيرة .

ان « الشخص » الذي توجه اليه الرسالة هو في العادة شخص « غائب » ، ولكن المرء حين يكتب رسالته فانه يحاول أن يستحضر ذلك « الغائب » . لأن الخطاب بطبيعته « حديث » ، والحديث لا يكون الا بين « حاضر » و « حاضر » . ومن هنا فانني حينما أكتب الى شخص ما من الأشخاص انما أقوم بعملية نفسية أحاول فيها جاهدا استحضار الـ « هو » حتى يصبح أمامي بمثابة الـ « أنت » . وربما كان الأصل في الصعوبة التي قد يستشعرها المرء أحيانا عند كتابة الرسائل هو أن الخطاب قلما ينجح تماما في تحويل الـ « هو » الى « أنت » ، ونظرا لأن « الغائب » الذي نكتب اليه لا يمكن أن يكون كالحاضر الذي نكلمه ونستمع اليه . وهنا يظهر عامل الكتابة : فان المكتوب لا يمكن بأي حال أن يكافىء المقول . ولعل هذا هو السبب في أننا نشعر جميعا — حينما نكون بصدد الكتابة الى شخص نستطيع أن نقابله ونتحدث اليه — ان « الخطاب » لا يمكن أن يجيء مساويا للحديث ، ومن ثم فاننا نؤثر مقابلته على مراسلته . والواقع أن الكتابة قلما ترقى في تعبيرها الى مستوى الحديث ، خصوصا حينما تكون لغة الكتابة مغايرة أو مختلفة عن لغة الحديث ، كما هو الحال مثلا بالنسبة الى اللغة العربية في معظم الأقطار الناطقة بها . وفضلا عن ذلك ، فان الحديث تعبير حي يكشف عن

الشخصية ، في حين أن الكتابة تقصر دائما عن اظهار الذات على حقيقتها . وعبثا يحاول المرء العمل على تجويد خطابه ، فانه لا بد من أن يظل شاعرا بأن تلك الحروف المقروءة التي سجلها على الورق هيهات أن تعبّر تماما عما يود قوله ، لو قدر له الظفر بلقاء من يكتب اليه ! وهذا – مثلا – هو شعور كاتب هذه السطور حينما يكتب الى أصدقائه البعيدين عنه ، فانه يحس احساسا عميقا بأن كل ما يخطه على الورق لا يساوي دقيقة واحدة يقضيها مع هؤلاء الأصدقاء لكي يفضي اليهم ببعض ما يعتور نفسه !

ثمّ هناك عامل آخر لعلّ منشأه طبيعة التراسل نفسه ، فان الكتابة تستلزم بالضرورة تسلسلا خاصا ، وترابطا معينا ، هما من أخص خصائص الكتابة نفسها ، ان لم نقل بأنهما من مقتضيات اللغة المكتوبة بوجه عام . ومن الواضح أن الفكرة قد تضيع في طيات الأسلوب ، أو هي قد تضل طريقها في تضاعيف الحديث المكتوب ، حتى لقد يذهب الأثر النفسي لما يريد المرء أن يكتبه لمجرد أنه يحرص على مراعاة قواعد اللغة ومستلزمات السياق اللغوي . ولعل هذا هو السر في أننا حينما نقرأ الخطاب المرسل الينا فاننا قد نحاول استعادة قراءته أكثر من مرة ، وكأننا نريد أن نقرأ ما بين السطور ، أو كأننا نسعى جاهدين في سبيل استبعاد قشرة « اللغة » من أجل الوصول الى نواة « الرسالة » !

ولا بد لنا من أن نشير ، في هذا الصدد ، الى الصعوبة التي قد يلقاها المرء في بعض الأحيان حينما يعمد الى كتابة الرسالة . فهذا رينان (Renan) – المفكر الفرنسي الكبير – مثلا ، يصارحنا بأنه كان يجد مشقة كبرى في كتابة أي خطاب ، حتى لقد كان يقول : « ان كتابة الرسالة عندي لهي ضرب من العذاب » ! وربما كان منشأ هذا العذاب أن المرء قلما يرضى عما يكتبه ، بل هو قد يشعر في كثير من الأحيان بأن للرسالة بالضرورة طابع النقص ! ولكن ، مهما كان من نقص الرسالة ، وقصورها ، وتفككها ، وارتباطها ببعض الظروف العرضية ، فان ما يخطه المرء لا بد من أن يسجل على القرطاس ، فيصبح بمثابة « شهادة » حية وكأنما هو قد خرج عن اطار « الزمان » واذا كان ما يقوله المرء قد يضيع سدى أو قد يذهب أدراج الرياح ، فان ما يكتبه قد يظل محفوظا أبد الدهر ، أو قد لا يكون ثمة سبيل الى محوه والقضاء عليه ! ومن هنا كان ذلك الشعور الضمني الذي يغمرنا حينما نكتب . فاننا نحس بأن الرسالة التي ندونها قد تكون شاهدة لنا أو علينا ، ومن ثم فاننا نستشعر ضربا من « التوتر الخلقي » . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول أن في كتابة الرسالة مسؤولية اخلاقيـــة لا تختلف كثيرا عن تلك المسؤولية التي تقترن دائما بكل فعل نؤديه حينما نكون بازاء الآخرين ..

على أن هناك صعوبة أخرى قد تكون أجل شأنا وأعظم خطرا في عملية التراسل ، وتلك هي الصعوبة التي قد يلقاها المرء حينما يكون بصدد « حقيقة » تريد أن تندسّ في صميم حديثه ، وتأبى الا أن تأخذ سبيلها الى خطابه ، بينما يكون هو نفسه حريصا كل الحرص على كتمانها أو عدم الاشارة اليها لا تصريحا ولا تلميحا . وهنا يشعر المرء بأن ثمة فكرة تطارده ويطاردها ، ويجيء احتراسه الشديد فيكون بمثابة فجـــوة واضحة ، أو هوة ملموسة في صميم رسالته ، وبذلك يكون حرصه على تجنب الحديث عن تلك الحقيقة سببا في انحراف عباراته عما يريده ، وبالتالي فقد تجيء رسالته معبّرة عما عمل جاهدا في سبيل اخفائه ! وهذا « الجهد المقلوب » يذكّرنا بما قد يحدث للطفل الصغير الذي يتعلم ركوب الدراجة ، للمرة الأولى في حياته ، فما ان يرى قطعة من الحجر في طريقه ، حتى يركز كل جهوده في سبيل العمل على تفاديها ، ولكنه لا يلبث أن يصطدم بها ويسقط فوقها بدرّاجته ، لفرط ما حاول اجتنابها وتفادي الاصطدام بها ! ! ومن هنا فاننا نلاحظ أن كثيرا من الناس يراجعون خطاباتهم بدقة وعناية ، وكأنما هم يريدون أن يدرسوا كل صغيرة وكبيرة في رسائلهم ، حتى لا تظهر فيها فجوات تكشف عما لا يريدون التعبير عنه !

ونحن نعلم أن الرسالة التي نكتبها سوف تقع في يد شخص يختلف عنا إن في كثير أو قليل ، ولهذا فاننا نحاول – عند الكتابة – أن نضع أنفسنا موضع ذلك الشخص حتى نقف على استجابته أو ردّ فعله بازاء ما نكتبه . ولعلّ هذا هو السبب في أننا قد نجد أنفسنا مضطرين عند الكتابة الى الانتقال في كل لحظة من وجهة نظر الذات الى وجهة نظر ذلك الآخر الذي نكتب اليه ، فنقوم بحركة بندولية مطردة ننتقل فيها من « الأنا » الى « الآخر » ، ثم من « الآخر » الى « الأنا » ، وهلمّ جرّا ! وليس المقصود من وراء هذه الحركة سوى العمل على تكييف الرسالة مع المرسل اليه ، حتى تجيء مساوية له ، أو متوافقة مع وجهة نظره .

والحق أن في التراسل مشكلة سيكولوجية هامة ، ألا وهي مشكلة التفاهم . واذا كان التفاهم مشلكة واضحة ملموسة في حياتنا العادية ، وفي أحاديثنا اليومية ، فأخلق به أن يكون مشكلة أعظم وأعسر في مراسلاتنا المكتوبة . وليس من شك في أن التفاهم لا يتحقق عادة عن طريق الألفـــاظ والعبارات ، بل هو يتم بفعل الشخصية كلها ، وهو مالا سبيل الى توافره في الكتابة . فليس بدعا أن تجيء الرسائل أكثر غموضا والتباسا ، وأبعث بالتالي على التنابذ وسوء التفاهم . ولسنا في حاجة الى تفسير هذه الحقيقة . فالتعبير الحي الذي يتمثل حينما نكون بازاء الشخص نفسه لا يمكن بحال أن يتوافر حينما نكون بازاء رسالة كتبها هذا الشخص ، خصوصا وان هذه الرسالة قد لا تكون معبّرة عن شخصية صاحبها تعبيرا أمينا صادقا.

ومن جهة أخرى ، فان في المراسلات عنصر مفاجأة قلما نعمل له حسابا ، فقد يصلك خطاب من شخص تعرفه حق المعرفة ، أو تظن – على الأقل – انك تعرفه جيدا ، ثم تطالع هذا الخطاب فلا تكاد تتعرف فيه على شخص صديقك الذي طالما اعتقدت انك أعرف الناس به ! وهكذا يجيء خطاب هذا الصديق فيكون بمثابة مفاجأة لم تكن في الحسبان ، ويحاول المرء تعليل هذا التغيّر الذي طرأ على صاحبه فلا يكاد يجد له تفسيرا . والواقع أن الشخص الذي تكتب

البقية على صفحة (٤٠)

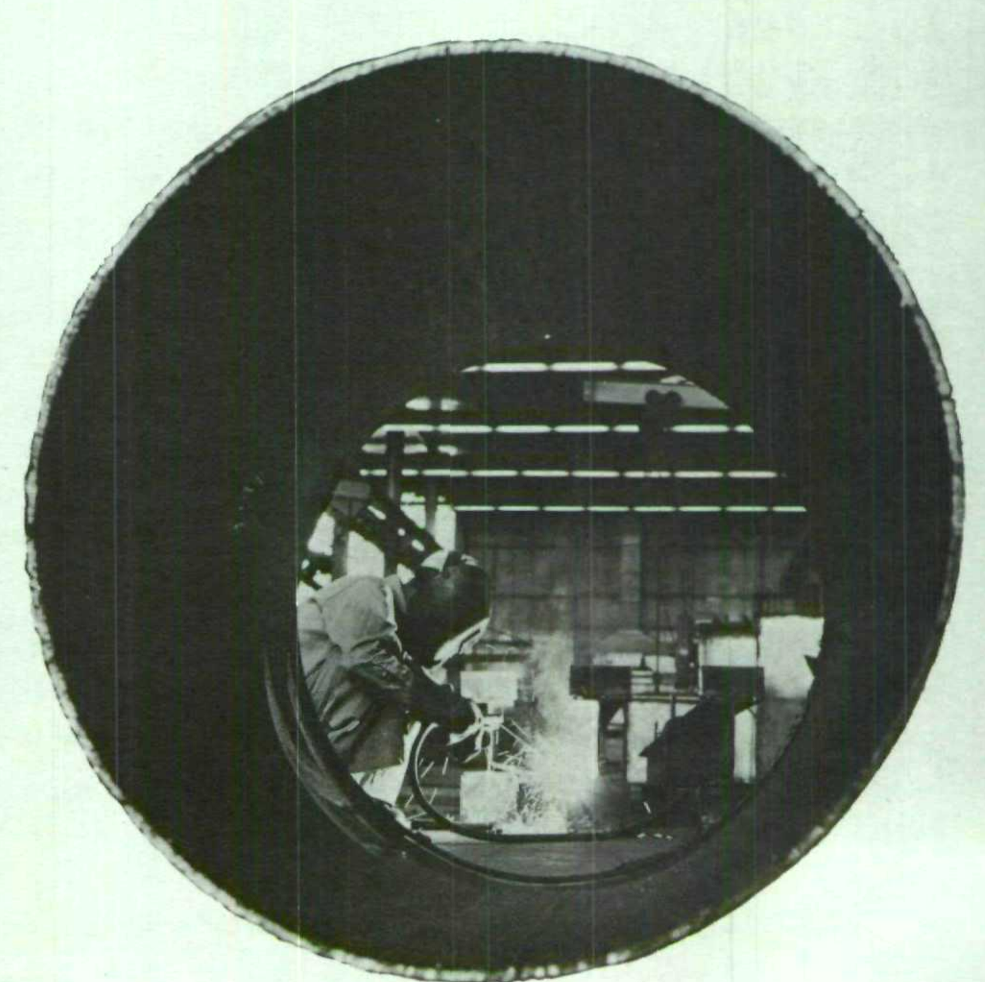
اللحام...

أهمّيّته في الصّناعة

كانت الجهود التي تبذلها شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) لتطوير كفاءات الموظفين العرب السعوديين ، في بادىء الأمر ، مقصورة على تدريب فردي يتلقاه الموظف من رئيسه أو زملائه أثناء العمل . ثم ما لبثت هذه الجهود ان تبلورت في برامج تدريبية منظمة تشمل دروسا نظرية وتطبيقية . وهذه البرامج التدريبية تطورت مع الأيام لتصبح فيما بعد « أدلة تدريب » خاصة يحدد فيها نوع التدريب الذي تتطلبه كل وظيفة والمشاكل المختلفة التي تعرضت لها . بيد أن أرامكو شعرت أن التدريب الذي يتلقاه الموظف في صفوف دراسية تدريبية منتظمة أعم فائدة وأوفى نتيجة . لذلك ، وثمرة لهذا التفكير السليم ، ظهرت ورش التدريب الصناعي التي تم تأسيسها في عام ١٩٥٨ في كل من الظهران ورأس تنورة وبقيق والتي اتخذت الدليل المتعلق بكل وظيفة من الوظائف ، أساسا بنت عليه برامجها ومقرراتها التدريبية الجديدة .

بعدئذ نظمت طريقة الالتحاق بورش التدريب الصناعي ، وأصبح على الموظف الذي يود رئيسه ارساله الى ورش التدريب الصناعي أن يكون قد أنهى سنوات دراسية معينة في مركز التدريب الصناعي . وتختلف بالطبع سنوات الدراسة باختلاف التدريب الذي سيتلقاه الموظف . فالموظف الذي يود الانتساب الى ورشة الكهرباء العملية مثلا يجب أن يكون قد أنهى خمس سنوات دراسية في مركز التدريب الصناعي ، بينما الموظف الذي يود الانتساب الى فرع الميكانيكا العامة يلزمه سنتان دراسيتان فقط . أما الموظف الذي يود الالتحاق بورشة اللحام ، فلا يلزمه أي دراسة سابقة للانتساب ، وانما كلما كان مثقفا نوعا ما ، كلما كان أكثر الماما بصنعته ومقدرته على استيعاب الدروس النظرية .

يختلف عدد ورش التدريب في كل من المناطق الثلاث باختلاف حاجة الادارات اليها ، وهو يتراوح بين ثمان وثلاث عشرة ورشة من ضمنها الميكانيكا العامة ، والكهرباء العملية ، وقراءة الخرائط الهندسية ورسمها ، والسباكة ، وصيانة الآلات والمعدات ، ونظرية الكهرباء والتثقيف المهني ، والعلوم العملية ، والسياقة ، ولحام المعادن وقطعها ، وأجهزة الضبط الصناعية وغيرها . وقد تنفرد منطقة بورشة للتدريب دون غيرها من المناطق الأخرى كما هي الحال بالنسبة لورشة اللحام التابعة لورش التدريب الصناعي في



منطقة رأس تنورة والتي تقوم بتدريب اللحامين لمختلف مناطق أرامكو . هذه الورشة هي موضوع حديثنا لهذا اليوم ، وسنحاول قدر المستطاع شرح أهمية الدور الذي تلعبه في اعداد لحامين فنيين للقيام بمختلف عمليات اللحام التي تحتاج اليها مرافق أرامكو المختلفة .

اللحام والقطع وتعريفها

اللحام في تعريفه البسيط ، هو ربط طرفي قطعتين من المعدن ببعضهما البعض ، وذلك بصهرهما الى درجة يتم عندها الالتحام ، مع استخدام أو عدم استخدام معدن ذائب من قضيب لحام اضافي مناسب .

أما عملية قص المعادن فهي تعتمد في مبدئها على مبدأ التآكل نفسه ، غير أن الفارق الوحيد في الأمر هو السرعة . فالأوكسجين الموجود في الهواء أو الماء يؤثر على المعادن المختلفة مسببا لها التآكل والتلف والتفتت البطيء ، بينما تيار الأوكسجين الذي يسلط على المعادن في بقع تحمى الى درجة الذوبان يجعلها تتلف وتتآكل بسرعة فائقة ، فتكون النتيجة قص قطعة المعدن المطلوبة .

تاريخ اللحام

لعل أقدم طريقة مهمة للحم المعادن بعضها ببعض بعد تسخينها الى درجة الاحمرار لتلين ، هي طريقة « كير الحداد » التي استخدمت لأول مرة في مقاطعة اللورين في فرنسا ، في القرن الثالث عشر الميلادي، والتي كانت محددة الأغراض وقلما كانت تستخدم الا في صنع المعدات المعدنية اليدوية واصلاحها .

بيد أن هذه الطريقة مع بدائيتها كانت تتطلب ممن يمارسها خبرة بكيفية احماء الحديد الى درجة الاحمرار دون أن يتأكسد أو يحترق . ولكي يتسنى للمرء ذلك،عليه أن يضع تحت المعدن قطع الفحم الحجري التي سيحميه بها ، ثم يشعلها مسلطا عليها تيارا من الهواء ، فتمتص قطع الفحم من الهواء المسلط عليها الأوكسجين الضروري لاستمرار احتراقها ، وفي الوقت نفسه ، تجعل المعدن المنوى لحمه في جو خال تقريبا من الأوكسجين ، فلا يتأكسد ولا يحترق .

وبقيت طريقة اللحام هذه وأمثالها من الطرق البدائية الأخرى ، سائدة الاستعمال في مختلف



قص الأنابيب يحتاج خبرة أكثر من قص الأجسام المسطحة .

الميادين المهنية ، حتى عام ١٨٨١م ، عندما تسنى لـ « ديماريتنز » استخدام الكهرباء فـي عملية لحم قطبي بطارية .

هذه الطريقة التي شاع استعمالها بعد خمس سنوات فقط من اكتشافها جرى تطويرها على يـد « أليهو طومسن » وأصبحت تعرف اليوم باسم « اللحام التناكبي » .

أما طريقة اللحام الكهربائي بقوس مـن الكربون فقد تم اكتشافها في بطرسبورغ في روسيا عام ١٨٨٠م . بينما تـم اكتشاف طريقة اللحام بقوس معدني ، في عام ١٨٩٥ ، على يـد « سلافينوف » ، الا انها لم تلق الكثير من النجاح الا بعد أن استطاع المخترع السويدي « كلبرغ » تطوير القوس المعدني وتغطيته بطبقة مساعدة للحام. هـذه الطبقة من شأنها عند الاحتراق أن تنتج غازا خاملا يحول دون وصول الأوكسجين الى قطعتي المعدن المنوي لحمهما ، فتتم عملية اللحام آنئذ في جو خال من الأوكسجين .

بعدئذ تطورت طرق أخرى للحام بالقوس الكهربائي وأمسى هذا النوع من اللحام فنا جديدا في عالم الصناعة المتسع الأرجاء . وفي الوقت الذي فيه اللحام بالقوس الكهربـائي مـا زال محدود الاستعمال نظرا لكون تطوره رهينا بمدى تطور استخـدام الكهرباء ، كان العالمان الفرنسيان « ادموند فوش » و « بيكارد » ، يواصلان السعي لإيجاد طريقة جديدة للحام . هذه الطريقـة الجديدة هي اللحام بالغاز ، وقـد تم لهما النجاح في عام ١٩٠١ . وفي غضون سنة واحدة فقط من تاريخ اكتشافهما شاع استخدام طريقتهما الايجابية الفعالة في عالم الصناعة .

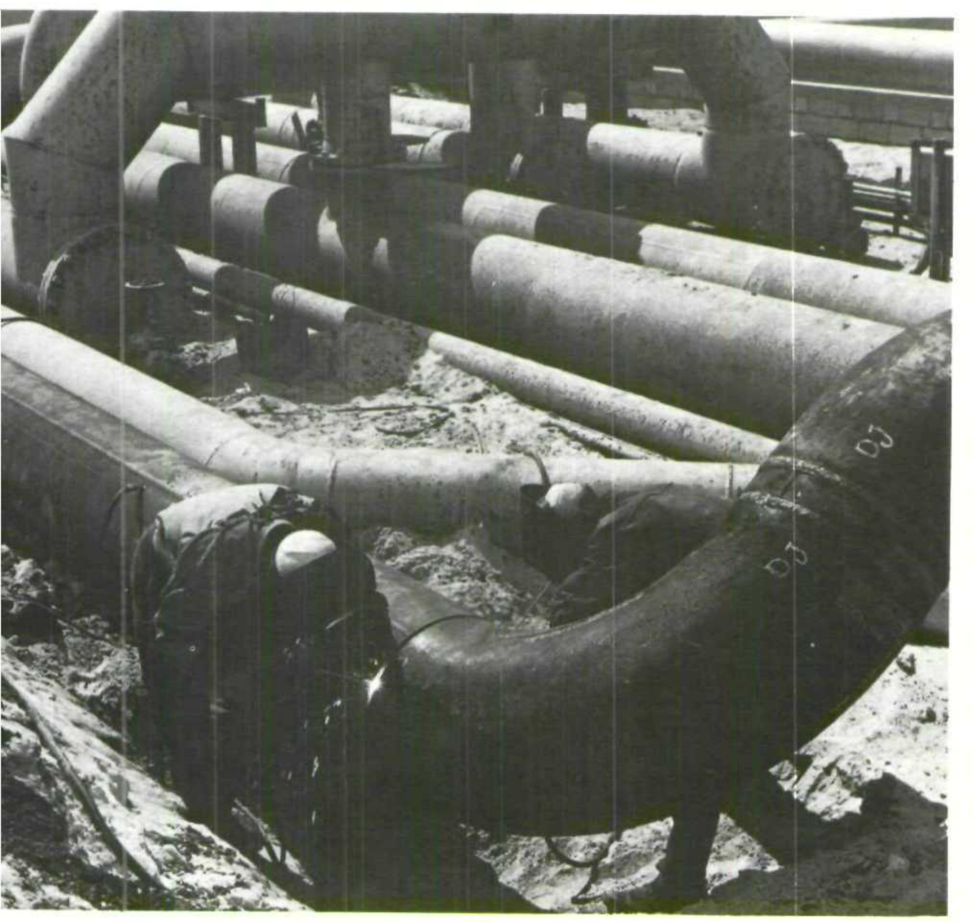
انـواع اللحـام والقصّ

ان أهم أنواع اللحام المعروفة والشائعة الاستعمال هـي : اللحـام بالأوكسجين – الاستيلين (Oxygen-Acetylene Welding) واللحـام الكهربـائي بالقـوس المعدنـي (Electric Metallic Arc Welding) ، واللحـام الكهربـائي بقوس مـن الكربون (Carbon Arc Welding) ، واللحام بقوس كهربـائي في جـو من الهيدروجين (Atomic Hydrogen Welding) ، واللحام بالثرميت (Thermit Welding) ، واللحـام بالحث فـي فـرن كهربـائي (The Induction Furnace) ، واللحام في فـرن هيدروجيني (Hydrogen Furnace) ، واللحام الأوتوماتيكي (Automatic Welding) أما أنواع طرق القص المعروفة فهي القص بقوس مـن الأوكسجين (Oxygen-Acetylene Cutting) ، والقص الكهربائي بقوس مـن الكـربون (Carbon arc Cutting) . ويضيق بنا المقام هنا لكي نصف كلا منها .

التدريب في أرامكو ومراحله

قلنا فيما سبق ، انه ليس من المفروض على الموظفين الذين يجري اختيارهم للتدرب عـلى عمليات اللحام أن تكون لديهم دراسة علمية سابقة ، وكل ما يطلب منهم هو أن يكونوا ذوي صحة جيدة وهـذا أمر مسلم به بالنسبة لجميع موظفي أرامكو . وليس للمتدربين على عمليات اللحام موعد معين يبدأون بـه كما أنـه ليس للتدريب فترة محددة ، وانما يتوقف طول فترة التدريب وقصرها على مدى استعداد الموظف نفسه . وكل ما هو محدد في ورشة اللحام هو عدد الطلاب الذين يمكن تدريبهم دفعة واحدة . فورشة اللحام تتسع لـ : ٣٢ موظفا ، يوزعون على أربعة صفوف ، في كل منها ثمانية أشخاص ، ويتلقى الصف الواحد يوميا ساعتين من التدريب . وبعد التدريب يعود الموظف الى ورشة المعادن حيث يواصل التدريب على ما تلقاه في ورشة اللحام من دروس .

ويدرب الطلاب عادة على اللحام الكهربائي بالقوس المعدني . وأول خطوة في التدريب هي تعليمهم كيفية استخدام المشعل في عمليات قص المعادن المختلفة ، ومن ثم تعليمهم نوع اللحام المعروف باسم اللحام الانشائي ، أو اللحام في الأجسام المسطحة . وخلال فترة التدريب على هذا النوع من اللحام والتي تبلغ حوالي ٢٤٠ ساعة ، يدرب الموظف على القيام بعمليات اللحام المختلفة الأشكال والأوضاع . فهو يدرب على اللحام من أعلى الى أسفل ، ومن أسفل الى أعلى وكذلك على اللحام في وضع مواجه . هذا ويدرب الطلاب على اجراء عمليات اللحام ذات الأشكال المختلفة ، كاللحام في خط مستقيم ، أفقيا كان أو عموديا



خط أنابيب ضخم يقوم بلحم أجزائه اثنان من اللحامين المهرة .

لحام يقوم ببعض الأعمال الانشائية بعد ان أنهى تدريبه وعاد الى عمله اليوم

أو مائلا ، كذلك اللحام على شكل حرف « T » ، واللحام على شكل رقم « ٧ » ، واللحام على شكل قوس ، واللحام على شكل سرج الحصان ، واللحام على شكل خطين متعامدين ، واللحام على شكل زاوية ، وغير ذلك من الأوضاع والأشكال . وبعد أن ينهي الطالب فترة كافية من التدريب المستمر ، ويكون في رأي مدرسيه قد أتم المنهاج التأسيسي المقرر ترسل عينات من قطع الحديد التي قام بلحمها الى مختبر خاص حيث يجرى عليها اختبار معين . فاذا اجتاز الموظف هذا الاختبار اعتبر ناجحا وأعطي شهادة تخوله العمل بوظيفة لحام تحت التدريب . أما اذا فشل في الاختبار فيعاد ثانية الى ورشة اللحام لاكتساب المزيد من المهارة ، واجتياز الاختبار في محاولة ثانية . بيد أن المتدربين الذين يثبت فشلهم في تعلم مهنة اللحام ، يحولون الى مهنة أخرى يستطيعون اجادتها .

أما الموظف الذي ينهي فترة التدريب ويجتاز الامتحان ، فعليه أن يمضي مدة لا تقل عن ستة أشهر في العمل الفعلي ، قبل أن يتسنى



موظف تحت التدريب يقوم بقص قطعة من الحديد مستخدماً مشعل أوكسجين – أسيتيلين .

لرئيسه أن يعيده الى ورش التدريب ثانية لتلقي تدريب أعلى في هذا الحقل . ومتى عاد الموظف ثانية الى ورشة اللحام ، فهو اما يدرب على لحم خطوط الأنابيب ، أو على لحم السبائك أو على لحم الأنابيب الخاصة بمعمل التكرير أو على لحام الخزانات ، أو على اللحام بالغاز (لحام الأوكسجين) . وكل طريقة من هذه الطرق تتطلب تدريبا متواصلا يستغرق ما لا يقل عن سنة ، ولا يصبح الموظف لحاما الا متى تدرب على جميع هذه الأنواع من اللحام واجتاز الامتحان فيها . وأكثر ما يحرص عليه أثناء تدريب الطلاب ، مراعاة أصول السلامة ، وتعويدهم على اتباعها ، فلا يسمح للموظف بممارسة التدريب ما لم يكن مرتديا الملابس والأجهزة الواقية .

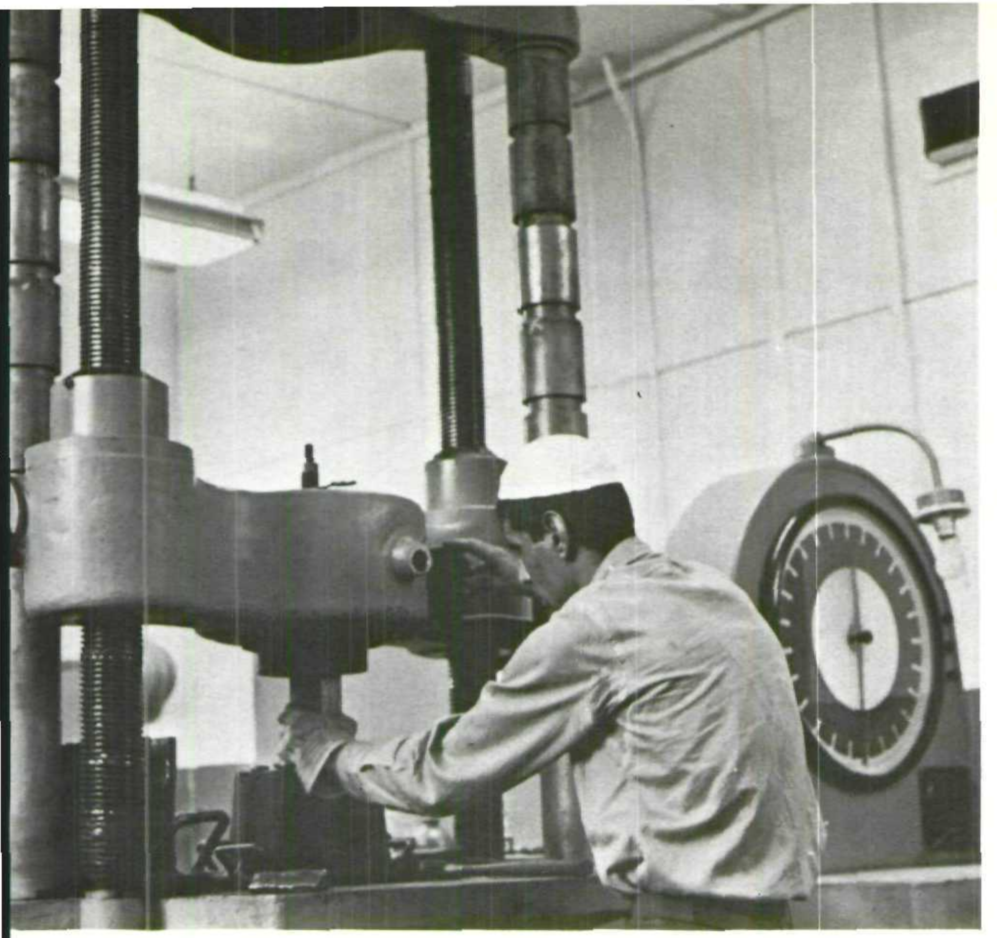
التدريب الاختياري

عملا برغبة المسؤولين في ورش التدريب الصناعي في جعل الموظفين المهنيين يتقنون أكثر من مهنتهم اليومية التي يمارسونها ، وبناء على طلب موظفي قسم الصيانة والورش في رأس تنورة ، أقيم في ورشة اللحام دورات تدريب اختيارية بعد أوقات العمل الرسمية ، يقبل في كل منها ١٦ موظفا ، وتعطى الأفضلية في القبول لموظفي قسم الصيانة والورش ، وذلك لأن هذه الدورات أقيمت نزولا عند رغبتهم . وفي هذه الدورات يدرب الموظفون على اللحام الانشائي فقط ، ولا يختلف التدريب فيها عن التدريب الذي يتلقاه الموظفون في الدورات العادية .

اختبار الطلاب

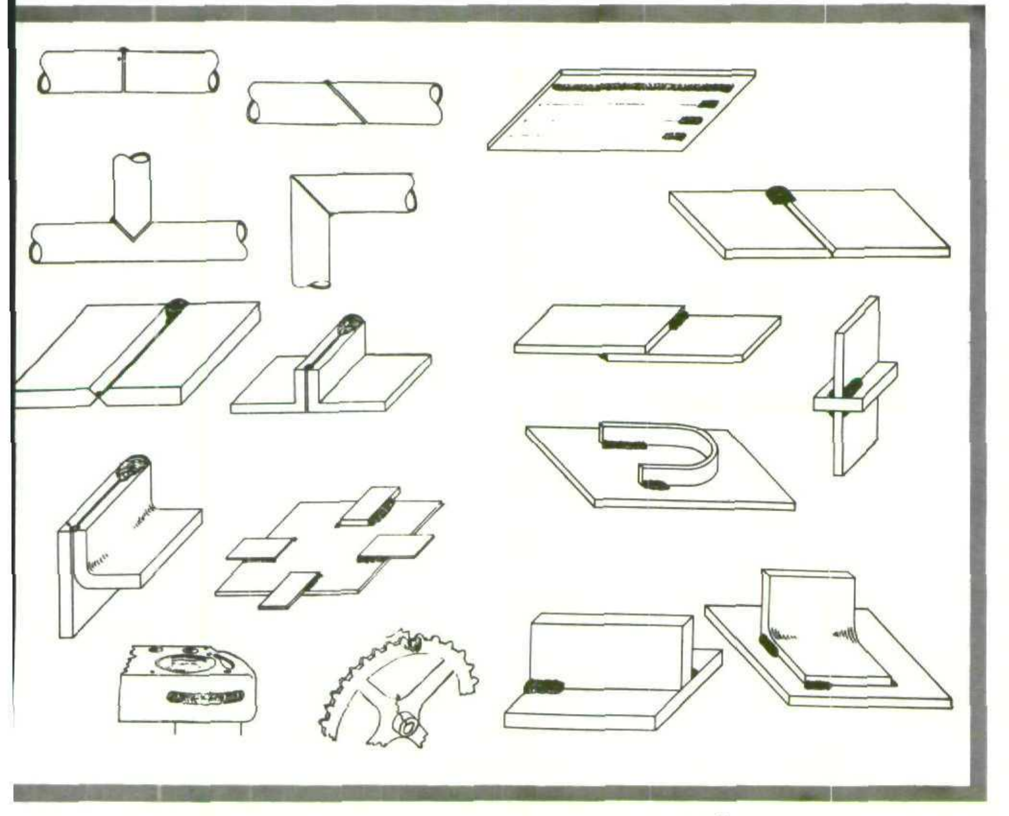
قلنا فيما سبق أن الطلاب الذين ينهون فترة التدريب ويرى مدربوهم أنه قد أصبح في استطاعتهم النجاح في الاختبار ترسل عينات من عمليات اللحام التي قاموا بها الى مختبر خاص . وفي المختبر يتم فحص العينات عن طريق ثنيها في ملزمة ضخمة تحت ضغط مرتفع ، في زاوية قدرها ١٨٠ درجة . فاذا كان اللحام جيدا تحملت القطع المثنية الضغط بسهولة دون أن تصاب بأي أذى ، أما اذا كان اللحام رديئا بان في القطع المثنية خروق وتشقق. على ضوء هذا الاختبار يعرف اللحام الجيد من اللحام ، الرديء ، وبذلك يعرف الموظف الناجح في الاختبار من الموظف الفاشل فيه .

عصام العماد



يجري ثني عينات اللحام التي يقوم بها الطلاب على هذه الملزمة ، بينما يبين العداد الظاهر في يمين الصورة كمية الضغط الذي تعرضت قطع الحديد له .

تصوير : سعود الحليم



بعض أشكال اللحام التي يجري تدريب الطلاب عليها .








الحركة الأدبية في العالم العربي

• اقترن الاحتفال بمهرجان الشاعر التونسي الراحل أبي القاسم الشابي بظهور طائفة من الكتب عن هذا الشاعر الموهوب الكبير ، منها طبعة جديدة من ديوانه أضيفت اليها قصائد غير معروفة ، ومنها كتابان جليلان صدرا في سلسلة « مكتبة الشابي » أولهما « رسائل الشابي » وقد قدّم لها الأستاذ أبو القاسم محمد كرّو ، وثانيهما « دراسات عن الشابي » وقد أعدّه وصنّفه أيضا الأستاذ كرّو وجمع فيه نحو عشرين دراسة عن هذا الشاعر القدير كتبها أعلام بارزون من العرب .

• أصدر العلامة الدكتور عبد الرحمن زكي حلقة ثانية من كتابه « الاسلام والمسلمون » ، وقد عالجت هذه الحلقة شؤون الاسلام في غرب افريقية ، بينما سبقتها حلقة عن المسلمين في شرق افريقية .

• أخرج الدكتور خليل صابات طبعة جديدة كبيرة من كتابه « تاريخ الطباعة في الشرق العربي» سجل فيها تطورات الطباعة في جميع أمصار الضاد الى عام ١٩٦٥ ، وعني عناية خاصة بفنون الطباعة في جزيرة العرب كما تناول مشكلات حروف الطباعة وأساليب معالجتها .

• من أبرز المباحث الأدبية الجليلة التي ظهرت أخيرا كتاب « اللغة والنحو بين القديم والحديث » للأستاذ عباس حسن و « رمز الطفل : دراسة في أدب المازني » للدكتور مصطفى ناصف و « ألف ليلة وليلة » وهي دراسة جامعية للدكتورة سهير القلماوي ظهرت طبعة جديدة منها و « النقد والمنهج الواقعي » للأستاذ حسين مروّه و « من أسرار اللغة » للدكتور ابراهيم أنيس وطبعة سادسة من كتاب « الاسلوب » للأستاذ أحمد الشايب و « الموشحات والأزجال » للدكتور مصطفى عوض الكريم .

• من مؤلفات الشاعر العربي الراحل وليّ الدين يكن التي أعيد طبعها مؤخرا بتحقيق وتقديم الأستاذ جبران مسعود ، كتابا « التجاريب » ، و « الصحائف السود » .

• تجدّد الاهتمام برسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، فظهر في وقت واحد كتابان يتناولانها كلّ من زاوية ، أحدهما للأديب السوري الأستاذ خليل الهنداوي وعنوانه « تجديد رسالة الغفران » والآخر للدكتور لويس عوض وعنوانه « على هامش الغفران » .

• أصدر الشاعر المهجري الكبير الأستاذ الياس فرحات في دمشق كتابا من خواطره المنثورة عنوانه « قال الراوي » فيه ترجمة ذاتية للشاعر وآرائه في الناس والحياة .

• حقّق الأديب اللبناني الشيخ الياس خليل زخريا كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع تحقيقا جديدا بارعا .

• أصدر الأديب السعودي خليل ابراهيم الفزيع الطبعة الأولى من كتابه الجديد « أحاديث في الأدب » .

• صدرت للقاص الكبير الأستاذ يوسف جوهر مجموعة أقاصيص فاخرة عنوانها « نار ورماد » تميّزت بالطلاوة والبلاغة .

• من كتب القصة التي ظهرت مؤخرا رواية « القطار الأول الى بابيلون » لمكس ايرليل وقد ترجمتها السيدة جاذبية صدقي وقدّم لها المرحوم الأستاذ حسن جلال العروسي والأستاذ ثروت أباظة و « نجوى » وهي رواية للأستاذ الياس عكاوي .

• من الكتب التي تبحث في علوم النفس والتربية ظهرت المؤلفات التالية : « معالم التحليل النفسي » لسيجمند فرويد ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي و « علم النفس : دراسة التكيف البشري » للدكتور فاخر عاقل و « التوجيه التربوي » لروجيه جال وترجمة الأستاذين محمد مصطفى زيدان ونجيب فائق اندراوس و « كيف نستعمل الوسائل السمعية والبصرية » لجون باكمن وترجمة الدكتور مصطفى بدران وتقديم الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل و « اتجاهات جديدة في الادارة المدرسية » للأستاذ حسن مصطفى وزملائه.

• كتاب « الكلمات » لجان بول سارتر ظهرت له ترجمة بقلم الدكتور خليل صابات ومراجعة المرحوم الدكتور محمد مندور .

• من الكتب العلمية التي ظهرت في الأوان الأخير « محاضرات حاملي جائزة نوبل في الطب » وقد ترجمها عن الالمانية الدكتور محمد يحيى الهاشمي و « تحسين الانتاج الحيواني » للدكتور ابراهيم فايز مرعي و « الكيمياء العامة وغير العضوية : العناصر اللافلزية الشائعة » للدكتورين نظير عريان وسامي طوبيا و « الفضاء الخارجي » للتكولن بلومفيلد وترجمة الأستاذ زكريا البرادعي و « الاسعاف والعلاج في حوادث التسمّم المنزلي » للدكتور مصطفى عبد اللطيف كامل ومراجعة الدكتور يحيى شريف .

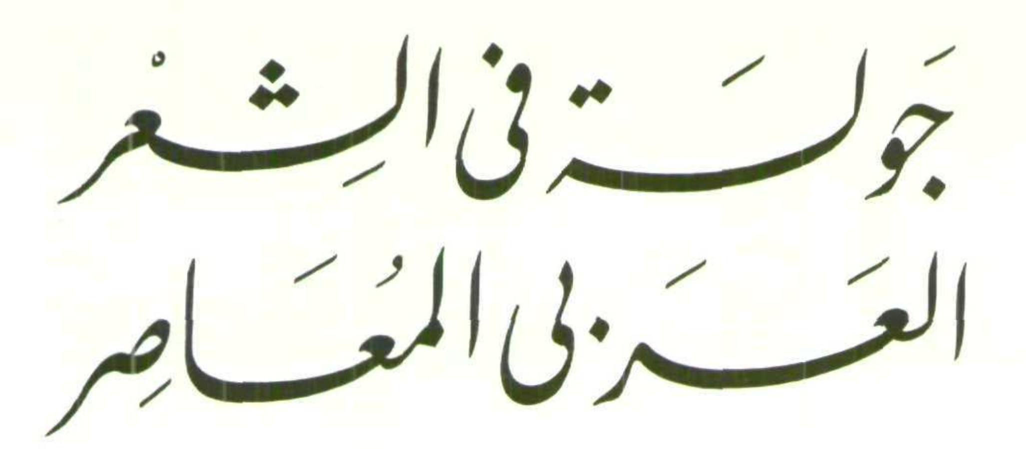
• صدرت الطبعة الرابعة من كتاب « مقدمة في الفلسفة العامة » للدكتور يحيى هويدي ، كما ترجم الأستاذ عبد المجيد أبو النجا كتاب « مدخل لقراءة افلاطون » تأليف ألكسندر كواريه ، وراجع الترجمة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني .

• من كتب الادارة التي صدرت مؤخرا « العلاقات العامة في المؤسسات الصناعية » للدكتور حسين محمد علي و « مدخل في هندسة الانتاج » للأستاذ حسن حسين فهمي والدكتور جلال شوقي .

• أصدر الدكتور بديع شريف كتابا عنوانه « في مهبط الوحي » .

• من الدواوين الشعرية التي صدرت أخيرا هذان الديوانان « يا بحر » للأستاذ حكمت العتيلي و « زهرة النار » للأستاذ عبد الكريم الناعم .

• صدر للأديب السعودي سعد عبد الرحمن الدريبي كتاب عنوانه « فتاة الجزيرة » .



جولة في الشعر العربي المعاصر

تأليف : ابراهيم العريض

عرض وتحليل : الدكتور نبيل الميلادي

هل يصلح الشاعر ناقدا للشعر .. ؟ سؤال قديم ظل حائرا عبر الأجيال دون أن يلقى جوابا حاسما ... فالشاعر وهو يتصدى لأمانة النقد يحاول جاهدا أن يتجرد من الذاتية ... انطباعاته وعواطفه ، ومذهبه ، وأسلوبه ... الخ . ومع ذلك تظل آثار هذه الذاتية عالقة بنقده بدرجات متفاوتة وفي الوقت نفسه يغدو من العسير القول بتحريم النقد على الشعراء أو وصمهم بالفشل اذا ما أدلوا بدلوهم في هذا الميدان ، لأن كل شاعر في أعماقه ناقد بصير يوجهه ويشذب شعره في حدود الاطار العام الذي رسمه لنفسه أو رسمته له الظروف . والناقد الشاعر يفيد بقدر غير قليل من موهبته الشعرية وهو بصدد تسليط أضواء النقد على قصائد غيره من الشعراء .

كانت هذه الآراء والأفكار ملء خاطري وأنا أقلب بين يدي كتاب « جولة في الشعر العربي المعاصر » لشاعر البحرين الكبير الاستاذ ابراهيم العريض وأتساءل هل أجد في هذاالكتاب جوابا شافيا عن ذلك السؤال الحائر . هل يصلح الشاعر ناقدا للشعر ؟

وعندما وصلت الى نهاية فصول الكتاب استبان لي أن الأستاذ الشاعر قد كفانا مؤونة العثور على جواب عن السؤال . فالمؤلف وهو يدبج فصول الكتاب التي تضمنت عرضا وتحليلا لنماذج مختارة من الشعر العربي المعاصر كان في الحقيقة شاعرا كبيرا ولم يكن ناقدا .

كما يختار الشاعر معانيه من بين شتى المعاني التي تزخر بها الحياة الانسانية ،وكما ينتقي ألفاظه بعناية من بين عديد من الألفاظ المنتشرة في اللغة ، اختار الأستاذ العريض بمهارة فائقة حوالي عشرين قصيدة من عيون الشعر العربي المعاصر لشعراء مختلفين وعمد الى كل قصيدة فاختار أجمل ما فيها لفظا ومعنى ، وعرض هذه الخلاصة في فصول كتابه المتتابعة وعمد في كل فصل الى اظهار مواطن الجمال في هذه الأبيات بأسلوب شاعري رقيق فجاءت هذه الفصول أقرب الى الشعر المنثور خالية من « الأسلوب العلمي » و « الاحكام النقدية » .

بدأالشاعر جولته بقصيدة « الصحراء » للشاعر الأخطل الصغير ثم «هات الدموع» لفؤاد الدين الخطيب . و « في المستشفى » لصالح جودت ، و « أنا وابناي — حول المدفأة » لمحمود غنيم ، و «لحن البدر » لحمدي صبرة ، و « فاتحة الأعاصير » للشاعر القروي و « لبنان » لعمر أبو ريشة ، و « عود الربيع » لأمين نخله ، و « حبي » لخليل شيبوب ، و « ألهميني » لعبد اللطيف شرارة ، و « أنت » لألبير أديب ، و « الطفل » لخليل مردم ، و « الطريق الأخضر » لعلي محمود طه ، و « وحياة عنيك » لمحمد علي الحوماني ، و « يا ابن الأراكة » لعبد الحميد السماوي ، و « الى الزعماء » لابراهيم طوقان ، و « رسائل محترقة » لابراهيم ناجي ، و « الأسرار » لايليا أبو ماضي ، و « تينة الجبل » لأحمد الصافي ، و « العاصفة » لصلاح لبكي ، و « رثاء زوجة » لعبد الرحمن صدقي ، و «حتى أمام الفناء فرق» لمحمد الفيتوري ، و « أهل الحمى » لفدوى طوقان وغيرها .

وكانت خاتمة المطاف قصيدة « نوح العندليب » للشاعر السوري شفيق جبري .

واذا كان لا بد لنا من اختيار بعض هذه القصائد لعرضها وعرض آراء المؤلف — بشأنها — وهي مهمة شاقة لا شك — فانني

أوثر عرض ثلاث قصائد وقفت أمامها طويلا ... قصيدة « هات الدموع » للشاعر الأردني فؤاد الدين الخطيب ، وقصيدة « الطفل » للشاعر السوري خليل مردم ، وقصيدة « يا ابن الأراكة » للشاعر العراقي عبد الحميد السماوي .

ولنبدأ بقصيدة « هات الدموع » ... يقول الشاعر فؤاد الدين الخطيب :

هات الدموع وحسبي في البلاء بها
ان الدموع يد لله بيضاء
فالغيث يوم تكون الأرض مجدبة
كالدمع يوم تمس النفس ضراء
سل التراب فكم في طيه اختبأت
عين يحدثنا عن دمعها الماء
وما الخرير سوى شجو يغص به
كما تغص بشجو البين خرساء
ما انفك متصل الأسباب منسجما
في الأرض منذ بكت في الأرض حواء
اني لأسمع في الابريق غمغمة
فانظر فهل فيه عن ماضيه أنباء
لعله كان قلبا سال من شجن
لعاشق — فيه أوطار وأهواء

يتحدث المؤلف عن هذه القصيدة في فصل بعنوان « الشعر عقل وعاطفة » يشير فيه الى أن هذه المقطوعة الصغيرة قد تناولت معنى قد يبدو أول وهلة عاديا ... يكاد لفرط ابتذاله عند كثير من الشعراء لا يوحي لهم بشيء ، وهو معنى قطرة الدمع وأثرها في تسكين النفس وتهدئتها . ولكن الثقافة العميقة التي يتمتع بها الشاعر تأخذ في البناء حول هذا الموضوع — قطرة الدمع — كما تبني المحارة طبقة فوق طبقة حتى تتحول الذرة الدخيلة بعد فعل الزمن الى درة نادرة الوجود .

فالشاعر يرى الدموع بلسما في الحياة لا يقتصر على العاتين والأقوياء وانما تشمل فيما تشمل الانسانية كلها دون تحديد زمان أو مكان .

ويرى المؤلف أن هذا السمو من الشاعر الذي بسط نظرته في أفق تجاربه الواسعة وجعل منه انسانا ينطق بلسان بني جنسه ... لا محدودا بقيود الجنس والزمان والمكان .

ويتأمل المؤلف هذا البيت مبهور الأنفاس :

لعله كان قلبا سال من شجن
لعاشق فيه أوطار وأهواء

ويستشف منه أن الشاعر قد التفت الى ما أحس به قبله المتنبي فالمعري فالخيام وهم الذين قالوا قبله و « يُدَفَّن بعضنا بعضا وتَمْشي أواخرنا على هام الأوالي » و « رب لحد قد صار لحدا مرارا : ضاحكا من تزاحم الأضداد » و « تطوينا الأرض لتنثرنا فتنثرنا لتطوينا » .

فحياة الانسان على الأرض — اذن — لا تتجاوز تاريخ الطين — ... من أولها الى آخرها !!

وقد استلفت نظرنا في هذه القصيدة — بجانب ما أشار اليه المؤلف — ان الشاعر فؤاد الدين الخطيب استطاع أن يجمع بمقدرة فائقة بين عمق المعنى وعذوبة اللفظ .

أما عن المعنى فيكفي أن نتأمل البيت الثاني ان الغيث حينما يهمي على الأرض المجدبة ، يحيلها من النقيض الى النقيض.. من حالة القفر والجدب الى الخصب والنماء وكذلك الدموع فانها لا تمسح فقط الآلام وانما تحيل النفس البشرية أيضا من النقيض الى النقيض من حالة الأسى والحزن الى الراحة والانشراح ومصدر التحول في الحالين واحد ... الماء ينزل من السماء في الحالة الأولى ويتساقط من عيون البشر في الحالة الثانية ...!!

أما عن اللفظ فانظر الى هذه الألفاظ التي تشيع فيها الموسيقى الشعرية بقدر غير قليل ... الخرير ، شجو ، غمغمة ، شجن ، أوتار ، اهواء ، تمس ، الغيث.. هذا عن قصيدة «هات الدموع» للشاعر فؤاد الدين الخطيب . أما قصيدة «الطفل» للشاعر السوري خليل مردم فقد اختار منها المؤلف هذه الأبيات :

هش لما طفلته أمه
ودنا من وجهها بالراحتين
حار ما بينهما شوقهما
قبلة تجزيه عنها قبلتين
واذا ما عبثت في وجهه
عبثا أو دفعته باليدين
جمع الأنف وضم الشفتين
وزوى اللحظ وهز المنكبين
وبدا الغيظ ولو دافعه
والحيا في وجهه ممتزجين
لج بي فرط حناني فأنا
من بكاء وابتسام بين بين
بسمة حيرى أطافت بفمي
حين حارت دمعتي بالمقلتين

وقد عمد المؤلف الى شرح هذه الأبيات في فصل بعنوان « التصوير في الشعر » أشار فيه الى الحرية التي أعطاها الشاعر لنفسه في التصوير والى تجاوز الصورة حيزي اللوحة الأثنين — في اطارها الفني — الى الحيز الثالث ، عمقا ، والى الحيز الرابع الذي نعبر عنه بالزمان من جهة ثانية بحيث لم تعد الصورة مجسمة فحسب ، بل عادت وكأنها تنبض وتتحرك مع الحياة ...

ويضيف المؤلف الى ذلك أن الشاعر قد لج به فرط الحنان لطفله فرسم هذه الصورة التي رأيناها بريشته الفاتنة وظل يلج به فرط الحنان حين رسم صورة حاله أيضا وانه ليشعر ككل أب ازاء طفله بهذه الرقة التي تفتر في وجهه ابتسامة رقيقة ولكنها في الوقت عينه قبل نظراته — لفرط الحنان بالدمع المترقرق ، هذا الدمع الذي يظل في فرحة القلب الحنون لا يهمي على الخدين ولا يغيض . ويختم المؤلف هذا الفصل هكذا (كان الشاعر جد موفق في هذه القطعة فهل يسمح لي بأن أهنيه) ، أما الذين يريدون من الشاعر « عاطفة »

وهم لا يفقهون معناها الا في مثل قول القائل :

اذا بلغ الفطام لنا صبي
تخر له الجبابر ساجدينا

أو « الموسيقى » فلا يتصورونها الا في مثل ضربات الطبل فليبحثوا عنها في غير هذا المكان . وانني اذ أضم صوتي لصوت المؤلف في تهنئة الشاعر على هذه الصورة الشعرية الممتازة فانني أتساءل ما الذي جناه عمرو بن كلثوم لكي يستحق من المؤلف هذا الغمز واللمز .. وهذه المقارنة غير المتكافئة؟ وعمرو بن كلثوم لم يكن يتحدث عن الأطفال والأمهات والعواطف الانسانية وانما كان يتحدث عن الحرب والقتال بأسلوب ذلك العصر في الفخر والمباهاة ...

أما خاتمة المطاف في جولتنا مع الأستاذ العريض فهي قصيدة يا ابن الأراكة للشاعر العراقي عبد الحميد السماوي يقول فيها :

يا بلبل القفص المطل
وشاعر الروض الأغن
ما كان ظني أن أراك .....
مغردا ..... ما كان ظني
فالحزن أعمق نغمة
من نغمة الوتر المرن
لحن النفوس الشاعرات
اذا تجيش بغير لحن
واذا علا صوت النعي
بمحفل سكت المغني
يا ابن الاراكة قد قتلت
مسرتي وأثرت حزني
أو لم نكن أبناء لحن
واحد ولدات فن
نصغي الى وحي الجمال
ونشرئب لكل حسن
أنت الأسير بلا فدى
وأنا الطليق بغير من
تشدو وأنت بمحبس
وأنا أنوح بمطمئن

وقد تحدث المؤلف عن هذه القصيدة في فصل بعنوان « الموسيقى الشعرية » يقول فيه أن هذه القطعة زاخرة بالموسيقى الشعرية ولكن لو سأل سائل أين هذه الموسيقى لأعياه أن يبين مأتاها الا في هذا الانفعال المنسجم الذي يحس به لدى الانشاد .

ويأخذ بعد ذلك في شرح أبيات القصيدة واحدا تلو الآخر مدللا على وجهة نظره. ولعل القارىء الكريم يشاطرني الرأي في أن البيتين الأخيرين يستحقان منا أن نقف أمامهما وقفة قصيرة قبل أن ننهي المقال ونضع القلم ...

لقد أجرى الشاعر مقارنة طريفة بينه وبين البلبل ... البلبل أسير والأصل أن الأسير يكون حزينا ساهما واجما لا يملك الا النواح والبكاء ... والشاعر حر طليق وخليق به أن ينصرف في ظلال الحرية الى الشدو والغناء ... ولكن الآية تنعكس ... فيشدو الأسير ويبكي الطليق ومن بكاء هذا وشدو ذلك يكتمل للقطعة التي اختارها الشاعر روعتها وجدتها ...

وبعد : فاذا كان الاستاذ العريض قد أثرى الشعر العربي بعديد من الدواوين والقصص الشعرية أذكر منها على سبيل المثال « العرائس » ، و «قبلتان» ، و « شموع » فان هذا الكتاب « جولة في الشعر العربي المعاصر » يستحق أن يأخذ مكانه عن جدارة بين الكتب الجادة في المكتبة العربية الحديثة .

اجوبة حاول ان تجيب

— ١ —

أ — اليورانيوم
ب — الهيدروجين
ج — اثنان وتسعون عنصرا

— ٢ —

أ — كركرة البعير
ب — لبان الفرس
ج — زور السبع

— ٣ —

أ — ايليا أبو ماضي
ب — ابو بكر محمد بن أحمد بن حمدان المعروف« بالخباز البلدي » وكان أميا .

— ٤ —

أ — الشمعة



المرقب الراداري

بقلم الدكتور نقولا شاهين

تمكن الأقدمون من الولوج الى الكون الشاسع الذي يحيط بنا ، وخلّفوا وراءهم ثروة لا بأس بها ، تتعلق بالأجرام النيرة في القبة الزرقاء . وبالرغم من بساطة الأجهزة التي استخدموها ، فان المعلومات التي حصلوا عليها لا تزال مراجع على كثير من الضبط والفائدة في علم الفلك .

على أن اكتشاف المرقب على يد غليليو عام ١٦١٠ ، كان فتحا عظيما في عالم الفلك ، لأنه قرّب الأجرام السماوية ، وبه تمكن من مشاهدة الجبال على سطح القمر وظلالها والفوهات البركانية ، كما توصل الى رصد المشتري ، وهذا سيار يدور حول الشمس على بعد ٤٨٣٠٠٠٠٠٠ ميل ، وكشف عن أربعة أقمار تدور حوله ، كما يدور القمر حول الأرض . كل هذا كان بواسطة أنبوب مركز في أحد طرفيه عدسة محدبة ، وفي الطرف الآخر عدسة مقعرة ، تجمع الأولى الأشعة من جسم ما ، وتظهر الصورة مكبرة بواسطة العدسة العينية .

كان على الفلكيين أن يفتشوا عن وسائل لتحسين المراقب واتقانها ، ليذهبوا الى أبعد مدى في درس الأجرام السماوية . لقد كان مقياس العدسات في بادىء الأمر من مقدار خمسة الى عشرة سنتيمترات ، أما اليوم فهناك عدسات يبلغ قطرها مائة سنتيمتر ونيف ، وهذا أكبر ما توصل الفن الى صنعه . ولا تزال هذه العدسة تعمل في حقل الدراسات الفلكية لمدة ٦٥ عاما في مرصد يركز (Yerkes) ، في الولايات المتحدة الأميركية . ونظرا لصعوبة العمل في ايجاد عدسات كبيرة ، لجأ الفلكيون الى صنع مرايا كبيرة ، تحل محل العدسات في جمع أشعة الضوء . لذلك نجد اليوم في المراصد الكبرى مرايا مقعرة يبلغ قطرها نحو خمسمائة سنتيمتر ، كما هي الحال في مرصد بالومار (Palomar) ، وهذا المرصد يتمكن

من رؤية آلاف الملايين من النجوم ، بينما تتمكن العين المجردة من رؤية ستة آلاف منها .

الفلكيون زمنا يعتقدون أن بامكانهم حصر عدد النجوم ، ظنا منهم بأن المراقب الضخمة قد نفذت الى ابعد حدود الكون . والمعروف اليوم أن الشمس، وهي مركز النظام الشمسي ، ومنه أرضنا والسيارات الأخرى ، هي واحدة من مائة بليون شمس ، تؤلف ما يطلقون عليه اسم نظام المجرة أو سديم المجرة ، وهو المعروف عند العامة بدرب التبانة . واليه أشار الشاعر العربي عندما قال :

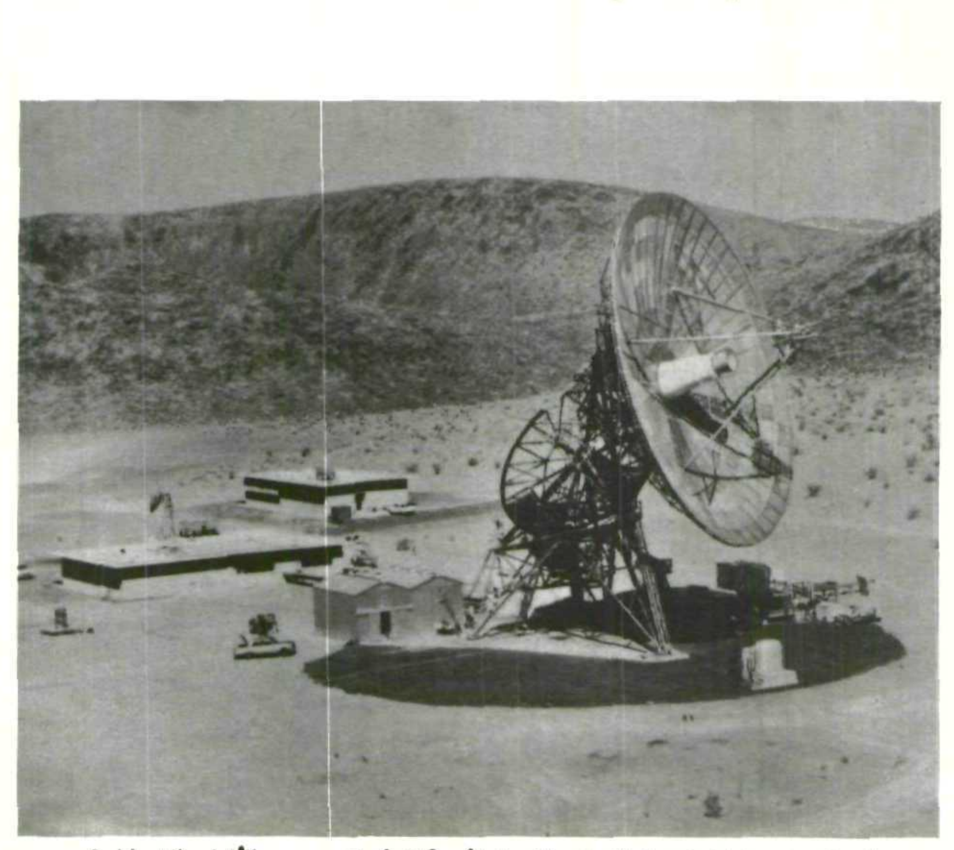
واظمأ ان ابدى لي الماء منة
ولو كان لي نهر المجرة موردا

ويذهب الفلكيون متوغلين في الكشف عن أسرار لم تتمكن أقوى المراقب البصرية من التوصل اليها ، وذلك بفضل المرقب الراداري. فما هو هذا الجهاز الجديد الحساس ، وعلى ماذا يرتكز ، وما هي الأمور التي حققها ؟

أما المرقب الراداري فهو في الأساس سلك هوائي ، كالسلك الذي يرتفع فوق سطوح البيوت لالتقاط الاذاعات الراديوية ، لكنه يتألف من اجزاء على كثير من الدقة والاتقان ، وفي الواقع هو مجموعة من الأسلاك الهوائية ، معدة لالتقاط أمواج ذات أطوال راديوية قصيرة ، صادرة من خارج جو الأرض . وتعود فكرة هذا المرقب الى عام ١٩٣٢ عندما تبين لمهندس لاسلكي أن أصواتا غريبة تأتيه من خارج نطاق الأرض ، من جهة الفضاء الذي تقع فيه مجرتنا ، وانها ليست صادرة من محطة لاسلكية أخرى . تعاقب العلماء على درس هذه الظاهرة ، فأثبتوا أن مصدرها هو نواح معينة في الفضاء ، وانها تأتي من مناطق حيث لا توجد أجرام مضيئة . وهكذا تمكن الانسان من الولوج الى مسافات تبلغ آلاف الملايين من السنين الضوئية ، بواسطة أطباق وأسلاك تؤلف المرقب الراداري . ويعتقد الفلكيون أن هذا المرقب سيمكنهم من الوصول الى أبعد حدود الكون ، أي خمسة أو ستة آلاف مليون سنة ضوئية . واذا كان هناك من سدم وراء تلك الحدود ، فانه ليس بامكان المرقب الراداري أن يقرر ذلك ، لأن تلك السدم تبتعد عنا بشكل سريع للغاية.

ظل المرقب الراداري في «جودريل بانك» أكبر جهاز الى أمد قريب ، وهو صحن مخروطي الشكل من قياس ٧٥ مترا ، وفي وقتنا الحاضر يوجد عدد من المراقب في الولايات المتحدة الأميركية ، احدها من قياس ٨٧ مترا ، وهو موجود في معهد كاليفورنيا التكنولوجي . وهناك مرقب آخر في الولايات المتحدة الأميركية ، تم بناؤه بالتعاون بين البحرية الأميركية ومعهد كاليفورنيا التكنولوجي ، قطره من مقدار ١٨٣ مترا ، وله طبق عاكس مساحته ٢٦٠ مترا مربعا . كما قامت الولايات المتحدة الأميركية بانشاء جهاز آخر في أريسيبو ببويرتوريكو ، وهو مجهز بأكبر هوائي عاكس ، ويبلغ طول قطر هذا الهوائي ٣٠٠ متر ويبلغ عمقه ٤٧ مترا ، وهو بشكل قصعة أو طبق . لقد جهز هذا المرقب بأشد الأجهزة حساسية ، وذلك للكشف عن الاشارات اللاسلكية الصادرة من النجوم النائية ، كما انه سيقوم بقياس كثافة الجزيئات في الطبقة المتأينة ، ودرجة حرارتها وحركتها . لقد شعر العلماء بحاجة ماسة للحصول على المزيد من المعلومات عن هذه المنطقة ، لأن جميع المركبات الفضائية عليها أن تمر خلالها ، كما انها تعكس الأمواج اللاسلكية الى الأرض .

يتخذ الفلكيون السنة النورية وحدة للتعبير عن الابعاد التي تفصل الأجرام السماوية عن الأرض ، لأن الوحدات العادية ، كالكيلومتر والميل ، تصبح شيئا زهيدا في هذا المجال . والنور يقطع حوالي ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية ، فتصبح السنة النورية ، أي المسافة التي يتمكن



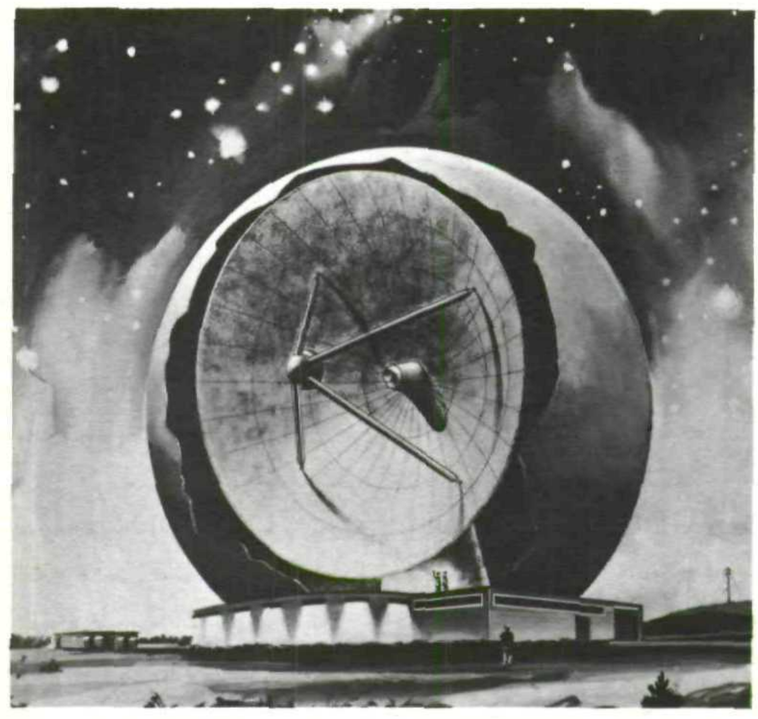
مرقب تستخدمه ادارة شؤون الفضاء والملاحة الأمريكية في تتبع مسير الأقمار الاصطناعية .

النور من اجتيازها في سنة واحدة ، عشرة بــلايين كيلومتر . وهــذه هي بعض الأجرام السماوية ، والمسافــات التي تفصلها عن الأرض ، كما حددها المرقب الراداري .

الأرصاد الرادارية	المسافة بالأميال	المسافة بالسنوات النورية
نجوم غير معروفة	٥×١٠^{٢١} ونيف	١٠٠٠ مليون
سديم هركيوليس	٥×١٠^{٢١}	٨٠٠ مليون
أقرب نجم مرئي	$٢,٥ \times ١٠^{١٣}$	٤ سنوات
المشترى (السيار)	٥٠٠ مليون	٤٠ دقيقة
الشمس	٩٣ مليون	٨ دقائق

لـيس يقتصر عمل المرقب الراداري على درس الأجرام السماوية النائية ، بل كان له شأن في تتبع سير الأقمار الاصطناعية ، وتسجيل مواقعها بدقــة فائقة . ومن أطرف ما حدث في هــذا الباب ، هو متابعة قمر اصطناعي أطلقته أميركا في الفضاء ، في شهر أيار (مايو) عام ١٩٦٠ . فعلى بعد ٨٠٠٠٠٠٠ ميل أصبح صوت الارسال ضعيفا للغاية ، لكن مرقب جودريل بانك تمكن من التقاطه . عندها أرسل هـذا المرقب اشارة راديوية ، فوصلت الى القمر الاصطناعي بعد ٤٣ ثانية ، وبموجب تلك الاشارة حدث تيار كهربائي في أسلاك أنبوب الجهاز المرسل . عقب هذا فترة استراحة لمدة ست ساعات لكي تملأ البطاريات ، ثم صدرت اشارة أخرى للقمر ليرسل شحنة كاملة فــي الصمامات . وبالتعاون بين المختبرات في كاليفورنيا والمرقب في جودريل بانك ، عاد القمر الى نشاطه في ارسال اشارات راديوية ، متابعا سيره بعد أن مر عليه شهران في فراغ لا تتمكن من الوصول اليه أقوى المختبرات ، تنصب عليه الأشعة من كل النواحي .

هـذا قليل من كثير قام وسيقوم به المرقب الراداري ، وهو يختلف عن المرقب الراديوي ، اذ أن هذا الأخير يستقبل ويدرس بثا راديويا يتولد في النجوم والسدم بعمليات طبيعيــة ، بينما يقوم المرقب الراداري بارسال أمواج من الأرض الى الأجرام السماوية كالشمس والقمر والزهرة ، ويحلل هـذه الأمواج بعد ان تنعكس وتعود الى مصدرها . كل هذا له علاقة مباشرة بحياة الأمم وسباقها للتعايش والبقاء . لذلك نرى أمة كالأمة الأميركية تبذل نحوا من مائة مليون دولار لمرقب واحد . ولا تمر دقيقة واحدة في عصرنا هذا دون أن يسجل القلم حدثا مهما في معرفة المزيد عن أسرار الفضاء ومحتوياته .



هوائي عاكس يتوسط الصحن الكروي الذي يقيه من المؤثرات الجوية .



يستخدم هذا المرقب الذي يبلغ قطره ٦٠ قدما في جامعة هارفرد بولاية مساشوستس الأمريكية .



اديسون

بقلم الدكتور جمال الدين الرمادي

لم يكن أديسون ذلك المخترع العظيم على جانب كبير من الذكاء منذ نعومة أظفاره ، بل كان على العكس من ذلك مثالا للبلادة والخمول . الا أنه وهب عزيمة قوية وارادة حديدية ، دفعته الى اختراق كل ما صادفه من عوائق وتخطي كل ما قابله من عقبات .

ولد توماس اديسون مخترع المصباح الكهربائي والسينما توغراف والفونوغراف أو الحاكي وغيرها من المخترعات الحديثة في قرية « مويلان » الصغيرة بولاية « أوهايو » في الولايات المتحدة في ١١ فبراير عام ١٨٤٧ .

والتحق بمدرسة « بورت هورن » في « ولاية ميتشجن » الأمريكية وهو في السابعة من عمره . بيد أنه لم يستمر في دراسته في هذه المدرسة غير ثلاثة أشهر ضاق فيها بالدراسة ، والمدرسين ، وضاق به المدرسون أنفسهم حيث لم يظهر أي تقدم في دروسه ، مما اضطر والده الى اخراجه من المدرسة . ولما كانت والدته « نانسي اليوت » تشتغل مدرّسة في احدى المدارس فانها عكفت بنفسها على تعليم ابنها في المنزل حيث قرأ باشرافها عددا من الكتب منها كتاب « قاموس العلوم » للمؤلف بور ، وتاريخ انجلترا للاستاذ هيوم ، وكتاب اضمحلال الدولة الرومانية وزوالها للمؤرخ جيبون .

وقد حاول اديسون في صباه أن يقرأ كتاب « اسحق نيوتن » غير انه لم يستطع أن يهضمه أو يستوعبه ، ومنذ ذلك التاريخ ضاق بالرياضيات ضيقا شديدا .

ولم يكن والد اديسون على حظ من الثراء ، لذلك كان لزاما على توماس أن يعمل في سبيل كسب قوته فاشتغل فترة بائعا للصحف وفترة بائعا للحلوى ، وكان يتنقل ببضاعته بين محطات السكك الحديدية ، ليعرضها على الزبائن من أجل لقمة العيش . وكان أبوه قد ضجر من الانفاق عليه حين بلغ الثانية عشرة من عمره عام ١٨٥٩ واخذ يبحث له عن عمل ثم فاجأه ذات يوم بقوله انك يا توماس على جانب كبير من الصحة والنشاط ، وحان الوقت الذي يجب أن تكسب فيه قوتك بعرق جبينك حتى لا يكون لأحد فضل عليك ، وقد حصلت لك على وظيفة « صبي قطار » في سكة حديد شيكاغو — ديترويت .

ومنذ صبيحة اليوم التالي التحق أديسون بعمله الجديد ، واستطاع أن يستخدم ثلاثة عمال يشتغلون لحسابه في بيع الصحف والمجلات في القطار على حين كان يعكف توماس اديسون في احدى عربات البضاعة على قراءة الكتب التي كان يشتريها ابتغاء تثقيف نفسه وتوسيع مداركه . وأغرم اديسون بدراسة كتاب في التحليل لعالم كيميائي ألماني يدعى « فريز نباس » وبلغ من ولعه بالكيمياء ان انشأ لنفسه معملا صغيرا في ركن من أركان احدى عربات البضاعة في القطار الذي كان يستخدمه لنشاطه التجاري .

وكان اذا وقف القطار في محطة نهائية لمدة طويلة نزل من معمله الكيميائي واتجه صوب القاطرة يدرس أجزاءها وطريقة عملها ثم يمضي الى مكاتب التلغراف ويتأمل في كيفية ارسال الاشارات ويسأل العمال ان يوضحوا له ما خفي منها .

وحدث ان أنقذ اديسون غلاما من موت محقق واتضح ان هذا الغلام هو ابن ناظر محطة « مونت كليمتس » في ولاية ميتشجن واسمه « ماكنزي » فكافأه الأخير على ذلك بأن علمه فن التلغراف . وسرعان ما وضع اديسون بنفسه خطا تلغرافيا بين محطة السكة الحديدية في « بورت هيورن » وبين تلك القرية فصار ذلك الخط وسيلة مريحة للمخابرات بين المحطة وبين المكاتب الرسمية المحلية ، وقد أتاح له ذلك أن يعين في وظيفة عامل تلغراف عند « ستراتفورد جنكشن » في كندا وكان ذلك عام ١٨٦٣ .

وقد ظل اديسون يشغل وظيفة عامل تلغراف فترة طويلة غير انه لم يكن يكتفي بتلقي الاشارات وارسالها بل كان يدرس الجهاز التلغرافي دراسة دقيقة ويسعى الى ادخال التحسينات فيه ، مما جعله طول اشتغاله بالتلغراف يهتم بالصوت وتسجيله . ففي عام ١٨٦٨ سجل أديسون أول اختراع في هذا المجال وكان عبارة عن مسجل كهربائي للصوت .

ويحكى عن اديسون انه بعد هذه السنوات الطويلة من التجارب استطاع أن يجعل الحديد يتغنى بالأغنية الانجليزية « كان لماري حمل صغير » ودعا أصدقاءه لكي يروا هذا المخترع الجديد ، واجتمع الأصدقاء ومعهم العمال حول هذه الآلة الحديدية التي وقف اديسون بجانبها ، وكانوا جميعهم يعتقدون أن اديسون واهم

كاذب فلما أدار اديسون الآلة وسمعوا الحديد يتكلم علاهم شيء من السكوت كأنهم صعقوا وصاح واحد فيهم وكان ألمانيا « ربي في السماء » ! ثم انتهت فترة السكوت ووقف الجميع حول اديسون وآلته كالحلقة واشتبك كل واحد والآخر بيده ثم أخذوا يرقصون وينشدون الأناشيد الجماعية . وكانت هذه هي هزة الطرب استخفتهم جميعا لرؤيـة هذا الاختراع العجيب الذي كان حدثا عجيبا قبل اختراع الراديو والتلفزيون وغيرهما من المخترعات الحديثة .

والطريف أن اديسون اشتغل فترة من حياته في اصدار مجلة صغيرة أطلق عليها « ويكلي هيرالد » وصدر العدد الأول منها في ٣ فبراير عام ١٨٦٢ وكان يوزعها في القطار .

وكان قد سمع أن جريدة تصدر في ديترويت تعرض للبيع كمية من حروف الطباعة بثمن بخس فاشترى تلك الحروف وأنشأ مطبعة صغيرة في جوار معمله الكيميائي بعربة البضاعة في القطار . وكان يطبعها على وجه واحد وطولها ٤٠ سم وعرضها ٣٠ سم وتنشر الأخبار التي ترد تلغرافيا على اديسون من المحطات التي يقف فيها القطار كما كان ينشر فيها عناوين الفنادق التي ينزل فيها النزلاء ، والأشياء المفقودة من الركاب ونحو ذلك من أمور تفيد جمهور المسافرين .

ويشاء سوء الطالع ان تسقط احدى قوارير المواد الكيميائية في معمل اديسون فتحدث حريقا في عربة السكة الحديد التي أقام فيها معمله ومطبعته فأغاظ ذلك مفتش القطار فأقبل على اديسون وقذف بمطبعته وأدوات معمله من العربة وانهال عليه ضربا مبرحا حتى أصابه في وجهه اصابة عنيفة ، بل لقد أحدثت الضربة عاهة مستديمة في أذنه اليسرى اذ فقدت قوة السمع ولم يجد العلاج .

ولم تنقص هذه الحادثة من شغفه بالصحافة فأصدر بعد بضعة شهور جريدة صغيرة في « بورت هيورن » سماها « بول الفضولي » . وكان ينشر فيها الأخبار المثيرة ، والانتقادات اللاذعة المريرة ، مما أوغر صدور كثير من الناس فاشتد حقدهم عليه وازداد ضيقهم به ، وتوعده أحد أصحاب هذه الانتقادات وانتظره على قنطرة بلدة « ثيرون » وأمسك بتلابيبه وما زال يضيق عليه الخناق حتى حمله بين ذراعيه ثم ألقى به في الماء . غير أن اديسون كان يحسن السباحة فاستطاع أن ينقذ نفسه من الغرق وينجو من موت محقق . فحمله هذا الدرس القاسي على هجرة الصحافة والاشتغال بحرفة أخرى وكانت هي حرفة التلغراف الذي تفوق فيه تفوقا عظيما .

وحدثت لاديسون في مدينة « بورت هيورن » حادثة أخرى أنسته تلك المعركة القاسية التي اشتبك فيها مع أحد خصومه وخرج منها تائبا من الصحافة بعد ان سقط في نهر « سان كلير » . وهي أن السلك التلغرافي الذي كان يصل بلدة هيورن ببلدة « سارنيا » قد انقطع ، وكان يمر فوق بحيرة هيورن ولم يتيسر اصلاحه على عجل فركب اديسون احدى قاطرات السكة الحديدية الى قرب بحيرة هيورن ، ثم بدأ يرسل من صفارة القطار اشارات على طريقة « مورس » التلغرافية يدعو فيها عامل التلغراف في سارنيا الى محادثته تلغرافيا ، وما لبث العامل ان أدرك سر الاشارات وجعل يتلقى من اديسون الرسائل التلغرافية بتلك الطريقة الى أن تم اصلاح الاسلاك التلغرافية بين البلدتين .

والتحق اديسون بوظيفة عامل تلغراف في مدينة « بوسطن » فترة من الوقت ، غير انه استقال من هذه الوظيفة ليتفرغ لأبحاثه العلمية . ولكن موارده المالية نضبت فاضطر الى السفر الى نيويورك وهناك طلب العمل في احدى الشركات التلغرافية .

وتصادف أن جهاز التلغراف في الشركة كسر أثناء وجوده في غرفة الاشارات التلغرافية فلم يستطع أحد سواه أن يصلحه ، وكان ذلك أكبر برهان يقدمه للشركة على براعته وتفوقه فعين مفتشا بمرتب ٣٠٠ ريال في الشهر . غير انه لم يلبث ان استقال واشترك مع « فرانكلين بوب » في اختراع بعض الأدوات الكهربائية وقد قبض اديسون في عام ١٨٧٠ مبلغ ٤٠ ألف ريال وكان هذا أول مبلغ كسبه من اختراعاته .

وظل اديسون يعمل في اختراعات متعددة . وفي عام ١٨٧١ ساعد شولز مخترع الآلة الكاتبة على صنع أول آلة عملية منها ، ثم اخترع عدة أجهزة تلغرافية مختلفة ساعد بها على تقدم التلغراف واتساع نطاقه . ومن المخترعات التي أتمها في « منلو بارك » الفونوغراف والمصباح الكهربائي والترام والسينما الناطقة .

أما المصباح الكهربائي فقد اخترعه عام ١٨٧٩ واستمر أول مصباح كهربائي صنعه مشتعلا مدة أربعين ساعة وبذا أثبت نجاحه ثم جعل يحسنه حتى وصل الى شكله الحاضر ، وكان اديسون يعلم أن المصابيح الكهربائية لا يمكن تصميمها الا اذا أنشئت محطة كهربائية مركزية وكذلك عمل دائبا على انشائها فقامت في عام ١٨٨٣ في مدينة «سنبوري» .

ويقول اديسون في حديث له مع احدى الصحف الأمريكية حين وجهت اليه سؤالا بخصوص المصباح الكهربائي : « لقد جربنا مواد عديدة منها البلاتين ومنها معادن ثمينة أخرى وقد صنعنا من تلك المواد المصابيح التي تشتعل بشكل يدعو الى الرضا ولكننا رأيناها غير صالحة من الوجهة التجارية لعظم ارتفاع

تكاليفها . وبعد تجارب عديدة أمكنني أن أكربن – مشتقة من الكربون – خيطا من القطن في فراغ من الهواء . ولكن على الرغم من نجاحي في ذلك ، رأيت أن خيط القطن ليس هو الموصل المطلوب . وأخيرا توصلت في عام ١٨٨٠ الى صنع ذلك الموصل من الألياف . وقد أرسلت رجالا الى امريكا الجنوبية ، وجزر الهند الغربية ، والشرق الأقصى ،ليأتوني بأحسن نوع منها . وكنت قد أجريت عدة تجارب حتى وصلت الى أكبر قدر من الفراغ علما بأن الاحتراق الى درجة البياض هو أساس المصابيح الكهربائية التي أردت صنعها . »

وقد خرج اديسون من ذلك الى اختراع وسائل لاستمداد القوة والحرارة من الكهرباء بعد أن استمد منها الضوء . وفي عام ١٨٨٨ أسس أول مصنع للمصابيح الكهربائية في هاريسون .

ولو اننا أردنا أن نقدم للقراء ثبتا بالسنوات الخصبة في حياة توماس اديسون لسردنا ما يلي : في عام ١٨٤٧ ولد توماس ألفا أديسون ، وفي عام ١٨٥٩ ابتدأ يعمل ليكسب قوت يومه ، وفي عام ١٨٦٢ أصدر جريدة ويكلي هيرالد ، وفي عام ١٨٦٣ عين في وظيفة عامل تلغراف ، وفي عام ١٨٦٨ سجل أول اختراع له وهو مسجل الصوت الكهربائي ، وفي عام ١٨٧١ ساعد شولز مخترع الآلة الكاتبة في مهمته ، وفي عام ١٨٧٧ اخترع الفونوغراف ، وفي عام ١٨٧٩ اخترع المصباح الكهربائي ، وفي عام ١٨٨٠ – ١٨٨٢ اخترع الدينامو الكهربائي وأول سكة حديد كهربائية ، وفي عام ١٨٨٣ أنشأ أول محطة مركزية للكهرباء لتعميم المصابيح الكهربائية ، وفي عام ١٨٨١ – ١٨٨٧ اخترع التلغراف اللاسلكي بين القطارات أو المحطات ، وفي عام ١٨٩١ اخترع كاميرا الصور المتحركة ، وفي عام ١٩٠٠ – ١٩٠٢ اخترع بطارية أديسون المشهورة وأنشأ مصنعا للأسمدة في « بورتلاند » ، وابتكر وسائل جديدة لصنع الاسمنت ، وفي عام ١٩٠٣ اخترع وسائل لتحسين اسطوانات الفونوغراف ، وفي عام ١٩١٢ اخترع السينما الناطقة ، وفي عام ١٩٢٠ بلغت مخترعاته الألف ، في عام ١٩٣١ مات توماس ألفا أديسون عن عمر ناهز الرابعة والثمانين .

وهكذا أخرج اديسون للانسانية هذه المخترعات العديدة التي أنفق فيها حياته كلها ، وكان مشغوفا بعمله الى حد الهوس . وقاده تفكيره في احدى المرات الى أن يقول أن النوم غير ضروري وان الانسان يجب أن يقنع بساعتين فقط كل يوم . ولم يكن الباعث على هذا التفكير الا حبه للاختراع وانكبابه عليه . فكان يعمل أشهرا وهو يشتغل ٢٠ ساعة في اليوم ولا يأكل الا أقل الكميات من الطعام وأخيرا كف عن هذا العمل عندما رأى نفسه ينام على مكتبه ، وكان عماله يتركونه به عدة ساعات ولا يوقظونه حتى رجع عن خطته وخفف من غلوائه .

وقد وصف أديسون طريقته في الاختراع فقال « ان طريقتي شبيهة بطريقة « بوربانك » فهو يزرع فدانا من الأرض فاذا ازدهر يسير بين شجيراته وهو ينظر فيها بعين ناقدة فينتقي من بين آلاف الشجيرات التي أمامه واحدة يتوسم فيها تحقيق غايته . ثم يحتفظ بها حتى يعقد بذرها ويستعمل بعد ذلك ذكاءه وخبرته في الاستكثار منها حتى ينتج منها سلالة راقية . وعندما يحتاج الأمر الى اجراء تجارب كيماوية فاني أقوم بمئات بل آلاف من هذه التجارب التى ربما تنتج لي تجربة واحدة أتوسم فيها النجاح ، وعندئذ أتابع هذه التجربة حتى أبلغ نهايتها الممكنة وأترك سائر التجارب الأخرى .

ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية من أعظم الدول التي تستخدم الكاوتشوك أو المطاط لكثرة ما بها من سيارات فضلا عن ان العالم قد تهدده الحرب في وقت من الأوقات فتنقطع الدول الأوروبية عن مصادر المطاط ، لذلك فكر أديسون مع هنري فورد وصديق ثالث في درء هذا الخطر وصرح بهذه المخاوف الى احد الصحفيين الأمريكيين وقال انه اهتدى الى شجرة يمكن زرعها في الولايات المتحدة لاستخراج هذه المادة .

وقد قام أديسون ببحوثه في هذا الميدان وهو في الحادية والثمانين من عمره وهدفه من ذلك زراعة شجرة المطاط في الولايات المتحدة الأمريكية بعد ان كانت تنبت في البرازيل وجزر الملايو والهند الصينية فقط وهي اصقاع كانت تابعة لبعض الدول الأوروبية .

هذا وقد تزوج اديسون من الآنسة « منيا ميد » وهي ابنة أحد رجال الصناعة واشترى ضيعة على مقربة من معمله تبلغ مساحتها نحو ثلاثة عشر فدانا بنى فيها بيتا أنيقا جميلا تحيطه البساتين الفيحاء والرياض الغناء .

وهناك ولد له أبناؤه الثلاثة « مدلين » و « شارلز » و « تيودور » ، وفي هذا البيت الأنيق مجموعة من الهدايا الرائعة التي وصلت الى أديسون من الملوك والرؤساء وكبريات الشركات والمؤسسات ومن هذه الهدايا وسام « البرنس البرت الذهبي » الذي قدمته اليه جمعية الفنون في لندن عام ١٨٩٢ والطبقات الثلاث من أوسمة « اللجيون دونور » وتماثيل من الرخام أهداها اليه قيصر روسيا وأوسمة شتى من معاهد وجامعات نيويورك وبوسطن .

وفي يوم ١٨ أكتوبر عام ١٩٣١ ودع أديسون الحياة ، وانطفأ ضوء حياته وطوته الظلمات بعد ان ترك الحياة الانسانية مضيئة مشرقة الجنبات .

بقية مقال « سيكولوجية الرسالة » المنشور على الصفحة (٢٤)

اليه لم يعد هو ذلك الشخص الذي كنت تعرفه ، بل لقد أصبح هو نفسه شخصا آخر ، فوصل خطابك الى ذات أخرى تختلف — ان في كثير أو قليل — عن تلك الذات التي كنت تعهدها ، ولا غرابة بعد ذلك في أن ترد اليك منه رسالة أخرى غير تلك التي كنت تنتظرها !

فاذا ما انتقلنا الآن الى مشكلة الصدق والأمانة في عملية الكتابة وجدنا أن الرسالة بطبيعتها ، قلما تخلو من عناصر تزييف أو نقص . واذا كان الفيلسوف الألماني هيدجر (Heidegger) قد استطاع أن يقول « انني عين ما أقول » فقد لا يكون في وسعنا أن نقول : « انني عين ما أكتب » ! والحق أن ما أكتبه مهما بدا لي معبرا عما أريد قوله قلما يجيء معبرا تماما عن صميم شخصيتي ، أو هو قلما يجيء مكافئا تماما لما أريده في قرارة نفسي . والسبب في ذلك أن الكتابة عملية اصطناعية لا تخلو عن تكلف وافتعال ، في حين أن الكلام فعل طبيعي يتسم بالعفوية والتلقائية . وأنا حين أفهم عبارة محدثي ، فانني في الحقيقة انما اندمج في الموقف الذي أجد فيه ذلك الشخص ، وبالتالي فانني أفهم ما يريد أن يقوله ، ابتداء من تلك الوسائط الخاصة التي يتخذ منها أدوات أو وسائل لتحقيق غاياته أو أهدافه . ومعنى هذا أن من شأن اللغة المقولة دائما أن تكون قابلة للفهم ، لأن رموزها تفك ابتداء من الموقف نفسه . وأنا اذا كنت أفهم كلام محدثي ، فذلك لأنني على علم بالموقف الذي يكتنفه ، بحيث انني حينما أستمع الى حديثه ، فكأنني أتكلم معه . وأما حينما نكون بصدد رسالة مكتوبة فان الموقف الذي أحاط بالشخص عند كتابتها يظل خافيا عنا وبالتالي فاننا قلما نتمكن من فك رموز حديثه .

وأخيرا قد يكون من الطريف للباحث السيكولوجي أن يعمد الى دراسة طائفة خاصة من الخطابات ، ألا وهي « الخطابات الغرامية » . وهنا نجد أنفسنا بازاء نوع خاص من الرسائل ، لأن رسائل الحب في العادة رسائل عميقة رقيقة تعبّر عن نفسيات أصحابها على أحسن وجه . واذا كان من شأن اللغة أن تدخل عادة في صميم بناء الحب ، فما ذلك الا لأن « الاغراء » نفسه كثيرا ما يتخذ طابعا لغويا !! ومع ذلك فقد فطن المحبون الى نقص اللغة ، فكانوا يكتبون أحيانا بدمائهم (بدلا من المداد) ، وكأنما هم كانوا يشعرون بأنه لا بد للحب من لغة خاصة غير لغة المداد والقلم . وقد حدثنا الفيلسوف الأندلسي ابن حزم عن رسائل العشاق بالتفصيل في كتابه المشهور « طوق الحمامة في الألفة والألاف » ، فكتب يقول : « وينبغي أن يكون شكل الكتاب ألطف الأشكال ، وجنسه أملح الأجناس . ولعمري ان الكتاب للسان في بعض الأحايين ، أما لحصر في الانسان ، واما لحياء واما لهيبة . نعم ، حتى ان لوصول الكتاب الى المحبوب ، وعلم المحب انه قد وقع بيده ورآه ، للذّة يجدها المحب عجيبة تقوم مقام الرؤية . وان لرد الجواب والنظر اليه سرورا يعدل اللقاء، ولهذا كثيرا ما ترى العاشق يضع الكتاب على عينيه وقلبه ويعانقه . ولعهدي ببعض أهل المحبة ، ممن كان يدري ما يقول ويحسن الوصف ، ويعبر عما في ضميره بلسانه عبارة جيدة ، ويجيد النظر ، ويدقق في الحقائق ، لا يدع المراسلة وهو ممكن الوصل قريب الدار ، أتيّ المزار ، ويحكى أنها من وجوه اللذة ... وأما سقي الحبر بالدمع فأعرف من كان يفعل ذلك ، ويقارضه محبوبه بسقي الحبر بالريق ... ولقد رأيت كتاب المحب الى محبوبه ، وقد قطع في يده بسكين له ، فسال الدم واستمد منه وكتب به الكتاب أجمع . » (« طوق الحمامة » ، طبعة القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٣٣ — ٣٤) . وكثيرا ما يعمد بعض المحبين الى تعطير خطاباتهم برائحة خاصة تعبّر عنهم ، لأنهم يشعرون بأن هذا العطر الخاص قد ينقل الى المحبوب بعضا من ذات المحب ، فيحمل اليه ما قصّرت الألفاظ عن التعبير عنه ! هذا الى أن بعض العشاق كان يستخدم في رسائله الغرامية ألوانا متعددة من المداد ، وكأنما هو كان يرى في اختلاف ألوان المداد تعبيرا عن اختلاف ألوان العاطفة التي يجيش بها صدره !

أما عن مضمون الخطابات الغرامية فان الملاحظ في العادة انه لا يقتصر على وصف العاطفة التي يكنّها كل عاشق لمعشوقه ، بل هو قد يدور في بعض الأحيان حول بعض التفاصيل الصغيرة أو الجزئيات الدقيقة التي يحرص كل من الطرفين على تبليغها للآخر ، معلقا عليها أهمية كبرى . ولا غرو ، فان الرسالة الغرامية هي بطبيعتها رسالة خاصة تحمل طابع الرمز ، نظرا لما بين العاشقين من تجاوب نفسي يجعل من رسائلهما لغة خاصة هيهات لأحد أن يفهم معناها على وجه الدقة . ولعلّ هذا هو السبب في أن معظم المحبين لا يميلون في الغالب الى اطلاع الآخرين على رسائلهم ، لأنهم يشعرون بأن هذه الرسائل لن تلقى من الآخرين سوى السخرية والازدراء ! ولكنّ الخطاب الغرامي مع ذلك أقدر أنواع الرسائل على التعبير عن الذات ، لأنه خطاب يتخذ طابع الحديث السرّي الذي يدور بين شخصين ، فهو أقرب ما يكون الى « شفرة » هيهات لأي غريب أن يفك رموزها ! وقد لا يستطيع الشخص العادي أن يفهم لغة المحبين . ولكن العاشق الذي يروي لمعشوقه بعض التوافه الصغيرة ، يعرف مقدما دلالة هذه التوافه في نظر معشوقه ، فهو يكتب اليه بلغة خاصة يعرف أنها أقدر من غيرها على الكشف عن ذاتيته العميقة ! وقد يكتب المحب لمحبوبه آلاف الخطابات ، أو قد يردّد على مسامعه نفس الكلمات ، ولكن كل رسالة من رسائله لا بد من أن تجيء حاملة مضمونها الخاص في نظر ذلك الذي يعرف كيف يقرأ ما بين سطورها ! ولا يتسع المقام هنا لتحليل رسائل الغرام ، وانما حسبنا أن نقول أن الباحث السيكولوجي الذي يريد الوقوف على الدوافع الشعورية واللاشعورية لعملية « التراسل » يجد في الرسائل الغرامية مادة خصبة لهذه الدراسة . وهل كانت رسائل العشاق الا جزءا من سيرهم الذاتية ، تلك السير التي وصفها جوتيه (Goethe) فقال انها « شعر وحقيقة » ؟! فهل من عجب في أن تجيء رسائلهم على صورة أشخاصهم أعمالا فنية هي مزيج من الواقع والخيال ؟!

صفحات من تاريخ المرأة العربية

لعبت المرأة منذ فجر التاريخ دورا مهما في بناء المجتمعات الانسانية ، فقد كانت وراء الرجل في كثير من الأحداث تشد أزره وتدفعه الى مواطن المجد والى ميادين البطولة ، وتقوم على رعايته وتهيئته تهيئة صالحة ليكون عضوا فعالا في مجتمعه . وقد عاشت الى جانبه منذ عهد الانسانية الأولى فشاركته في أفراح الحياة وأتراحها . وتاريخ الأمة العربية حافل بما للمرأة من مآثر حميدة في ميادين البطولة والأدب والشعر . لقد كانت المرأة مهضومة الحقوق في عصر الجاهلية ينظر اليها نظرة ازدراء حتى انها كثيرا ما كانت توأد حية منذ ولادتها « واذا بشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به أيمسكه على هون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون . » (صدق الله العظيم) ، الا أن الاسلام قد جاء بسماحته وانصافه وقضى على تلك العادات المنافية للحق ، وبين ما لها وما عليها . « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثر نصيبا مفروضا . » (صدق الله العظيم) ، ورفع من قيمتها في المجتمع الى الدرجة التي تستحقها . وقد حثّ القرآن الكريم على انصافها واعلاء شأنها ومعاملتها بالرفق واللين « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا . » (صدق الله العظيم) .

لمع في عصر الاسلام اسماء نساء كثيرات سجل لهن التاريخ مآثر حميدة في حقول العلم والمعرفة . ومن اللواتي لمع نجمهن في أوائل الاسلام خديجة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم . فهي أول من استجاب لدعوة الاسلام ودعا اليه وأعان صاحب الرسالة بالنفس والمال . وقد كان رسول الله (ص) يجلها ويقدرها حق قدرها ثم كان يذكرها بعد موتها كثيرا ولم يسأم من الثناء عليها حتى غارت زوجته السيدة عائشة وقالت له ذات يوم : « لقد عوضك الله عن كبيرة السن » . فغضب رسول الله (ص) من كلامها غضبا عظيما حتى أسقطت في جلدها ثم قال لها : لا والله ما أبدلني الله خيرا منها ، آمنت بي اذ كفر بي الناس ، وصدقتني اذ كذبني الناس ، وواستني في مالها اذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها أولادا اذ حرمني النساء . قالت عائشة « فقلت في نفسي لا أذكرها بسيئة أبدا » . وقد توفيت خديجة ساعد رسول الله (ص) بعد بث الدعوة بثلاث سنوات . فكانت وفاتها مصيبة عظيمة على النبي (ص) تبعتها مصائب وكوارث مماثلة تحملها بصبر ورباطة جأش . وما امتازت به خديجة فان لعائشة ما يقابله . فقد كانت عائشة من أبرز النساء اللائي لمع نجمهن في دنيا المعرفة اذ كانت امرأة فاضلة ناجحة ملمة بأمور الدين ، واسعة الاطلاع ، حتى اعتبرت مرجعا لرجال الدين والعلماء يستشيرونها في عويص الأمور فتجيبهم الأجوبة المنطقية المدعومة بالحجة والبرهان . وقد عرف عنها انها كانت من أبرع الناس حفظا للقرآن الكريم ، والحديث الشريف والفقه ، والشريعة ، وأكثرهم إلماما بالشعر وأحاديث العرب وأخبارهم وأنسابهم . كل ذلك جعل منها محدثة لبقة فصيحة اللسان بليغة المقال ، اذا تحدثت ملكت على الناس مسامعهم وأخذت بمجامع قلوبهم . وقد كانت كثيرة التعبد والتهجد والصيام حتى قيل أنها كانت تصوم صيام الدهر ولا تفطر الا يومي الفطر والأضحى .

وها هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وزوج الزبير بن العوام ، التي كانت تحمل الطعام الى رسول الله في الغار حتى انها سميت بذات النطاقين لأنها شقت زنارها قطعتين لتحمل قربة الماء وكيس الخبز الى الرسول وأبي بكر عند الهجرة . وقد كانت ذات جود وكرم ، وعزيمة ماضية ونفس عزيزة وشجاعة نادرة . ولعل أكبر مثال على شجاعتها حوارها مع ابنها عبد الله ابن الزبير لما دخل عليها وهي عمياء وقد بلغت من العمر مائة عام اذ قال لها : يا أماه ما ترين ، وقد خذلني الناس وخذلني أهل بيتي ؟ فقالت له : « لا يلعبنّ بك صبيان بني أمية ، عش كريما ومت كريما » . قال : « ان هذا قد أمنني » قالت : « يا بني لا ترض الدنية فان الموت لا بد منه . » فرد عليها قائلا : « اني أخاف أن يمثل بي » ، فأجابته بقولها المشهور : « ان الكبش اذا ذبح لا يخاف السلخ » . فخرج الى ساحة القتال وظل يناضل ويقاتل حتى قتل . وقد تحملت مصيبة قتل ابنها بشجاعة نادرة كما تحملت من قبل نبأ مقتل زوجها الزبير في موقعة الجمل .

ومن بين نساء العرب الشهيرات اللواتي كان لهن أثر كبير في حقل الأدب ، الخنساء (تماضر بنت عمرو السليمية) وقد اتصف شعرها بالجزالة والمتانة وحسن السبك كما اعتبرت من أشعر شعراء عصرها ولا سيما بالرثاء . والشاعرات اللائي برزن في وصف أحزانهن كثيرات الا أنهن في الغالب لم يبلغن ما بلغته الخنساء ، خاصة في رثاء أخيها صخر فقد قالت :

يؤرقني التذكر حين أمسي
ويردعني مع الأحزان نكسي
على صخر وأي فتى كصخر
ليوم كريهة وطعان حِلْس

ومن أجمل أقوالها :

أعينيّ جودا ولا تجمدا
الا تبكيان لصخر الندى
الا تبكيان الحسام الدفين
ألا تبكيان الفتى السيّدا

فهي من الشاعرات المخضرمات وقد نال شعرها اعجاب الرسول (ص) حتى انه كان يستنشدها ويقول « هيه يا خناس » . وبالاضافة الى نبوغها في الشعر فهي تتحلى بصفات الشجاعة العربية النادرة ، والصبر على الملمات . فقد حضرت حرب القادسية وبصحبتها أبناؤها الأربعة وخاطبتهم بقولها المشهور « يا بني اسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، وتعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل . واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية . » فخرج

بنوها قابلين لنصحها فقاتلوا حتى قتلوا . وحينما بلغها الخبر قالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم » . وقد توفيت في أول خلافة عثمان سنة ٢٤هـ .

هذا وقد كان في هذا العصر كثير من فضليات المسلمات اللائي حملن لواء النهضة الثقافية في ميداني الدين والأدب ، وخلفن للأجيال الناشئة بعدهن تراثا أدبيا حيا أبقى ذكراهن على مر العصور .

وقد ظهرت قيمة المرأة بأجلى مظاهرها في أيام الدولة العباسية فأحرزت نفوذا واسعا وأثرت في الدولة تأثيرا كبيرا . وقد اشتهرت في ذلك العصر زبيدة زوج الرشيد ، وهي سيدة جليلة ذات يد طولى في الحضارة ، والعمران ، والعلم والأدب ، ومن ذوات العقل ، والرأي والفصاحة ، والبلاغة . وكانت زبيدة كاتبة لبقة وقعت مرة في ظهر كتاب ورد اليها من أحد عمالها « أن أصلح كتابك والا صرفناك عن عملك . » فتأمله ذلك العامل فلم يظهر له فيه شيء فعرضه على بعض أخوانه فرأى فيه الدعاء لها « وأدام كرامتك » فقال : انها تخيلت انك دعوت عليها فان كرامة النساء دفنهن . فغير الكاتب هذا الدعاء وأعاد الكتاب اليها فقبلته . وقد شمل عطف زبيدة الفقراء والمساكين ، وكان لها مائة جارية يحفظن القرآن ، وكان على كل واحدة منهن تلاوة عشر من آي الذكر الحكيم . أما الآثار الجليلة التي خلفتها زبيدة وانتفع بها العالم العربي خير انتفاع فهي كثيرة جدا ، منها انها سقت أهل مكة الماء بعد ان كانت الراوية بدينار ، وأسالت الماء الى مكة من مسافة ١٦ كيلومترا ، ومهدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل وجبل . وقد عرفت هذه العين قديما بعين « الشماش » ومعروفة الآن بـ« عين زبيدة » . وينسب اليها أيضا مسجد زبيدة ببغداد الذي اندرس عام ١١٩٥هـ ، ولم يبق منه سوى قبرها وعليه قبة مخروطية الشكل تعتبر من نوادر الفن المعماري . وزبيدة هي أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجواهر . وهي أول من اتخذ القباب من الفضة والأبنوس والصندل وكلاليبها من الفضة ملبسة بالوشي والسمّور والديباج وأنواع الحرير المختلف الألوان مما يدل على الثروة الهائلة في عصرها ومدى اتساع رقعة الدولة الاسلامية آنذاك .

وقد اغتمت زبيدة غما عظيما حينما فكر الرشيد أن يوصي بالبيعة لابنه المأمون دون ابنها الأمين فجعلت تهيء له كل العوامل التي تعتقد بأنها ستبلغ به الى عرش الخلافة حتى جعلت الرشيد يعهد اليه بدلا من المأمون . ومما يدل على ذكائها وفطنتها ودرايتها وحنكتها انه بعد القتال الذي جرى بين الأخوين حول الخلافة والذي أودى بحياة ابنها الأمين أرسلت للمأمون قصيدة من شعر أبي العتاهية جاء فيها :

وقلت لريب الدهر أن هلكت يد
فقد بقيت والحمد لله لي يـد

وحينما قرأها المأمون أجهش بالبكاء متأثرا بما تضمنته من معان محزنة ، فرد عليها معتذرا لها عن مقتل أخيه . ثم قالت له : ولئن كنت قد فقدت ابنا خليفة ، فلقد عوضت بابن خليفة لم ألده وما خسر من اعتاض ولا ثكلت أم ملأت يدها منك . فأخذ المأمون يزيد في تكريمها وتقديرها وجعلها في ظله ورعايته .

وشجرة الدر هي أول امرأة مسلمة تتسلم زمام الملك ، وهي من اللواتي كانت لهن اليد الطولى في رفع راية الاسلام والمساهمة في ادارة شؤون الدولة وأمور الحكم ، لما كانت تتسم به من الحصافة والتدبير ورجاحة العقل والدهاء والرزانة . وقد بلغ من سلطانها ان أطلقت سراح الملك فرنسيس ملك الافرنج ، بعد مراسلات كثيرة اشترطت عليه فيها تسليم دمياط للمسلمين فسلمها بعد أن ظلت بيده احد عشر شهرا وتسعة أيام ، ولما مات زوجها الملك الصالح ، كتمت الخبر حتى أخذت العهد لتوران شاه ابن الملك الصالح ، ثم باشرت الحكم وأخذت توقع باسمها مراسيم الدولة ، وبالتالي تولت السلطنة فكان يخطب باسمها في أيام الجمع على منابر مصر والشام اذ كان الخطباء يقولون بعد الدعاء : «واحفظ اللهم الصالحة ملكة المسلمين ذات الحجاب الجميل والستر الجليل » . وبلغ من نفوذها ان ضربت العملة باسمها . وحينما سمع الخليفة المستنصر في بغداد عما كان من أمر شجرة الدر ، أرسل لأمراء مصر يقول لهم : « اعلمونا ان كان لم يبق عندكم رجال يصلحون للسلطنة فنرسل لكم . » فلما بلغ شجرة الدر ذلك خلعت نفسها عن العرش برضاها بعد ان حكمت مصر ثلاثة أشهر ، ثم ولت من بعدها عز الدين ايبك الذي تزوجته وأخذت تسير دفة الحكم باسمه ، فكان لا يبت في أمر الا بمشورتها . وكانت شجرة الدر من ذوات البر والاحسان فأوقفت مدرسة عرفت باسمها وحماما عرف باسم حمام الست بمصر . ولها مآثر كثيرة على وجوه البر والاحسان معروفة بها .

وعلاوة على ذلك فاننا نجد المرأة العربية في العصر الاسلامي قد أحرزت نشاطات شتى في جميع المجالات . فكانت مشهورة بالعفة والأنفة ، وسداد الرأي ورجحان العقل ، فكان علمها غزيرا وفضلها عظيما وتأثيرها في الدولة كبيرا .

وبعد العصر العباسي مر العالم العربي بفترة طويلة من الركود والضعف والتأخر في مختلف ميادين نشاطه ، فكان لا بد أن يؤثر ذلك على نشاط المرأة أيضا . لكن ما ان بدأت بواكير النهضة العربية الحديثة تظهر حتى بدأ نجم المرأة العربية يسطع من جديد في مختلف ميادين الفكر والآداب . وما النهضة النسوية المشهودة في عالمنا اليوم والتي أدت الى خوضها بنجاح في ميادين البحث العلمية والفكرية والصناعية والفنون والآداب ، الا ثمرة ذلك الجهاد المتواصل الذي خاضته الرائدات من النساء فرفعن لواء المرأة عاليا في بلادنا .

وان أنس لا أنسى الأديبة التي ذاع صيتها في العالم العربي وتجاوزه الى ما وراء البحار ، والتي كان صالونها المشهور مجمع أدباء عصرها ومنتدى نشاطهم الأدبي ، تلك هي الآنسة « مي زيادة » التي كان لانتاجها أثر كبير في تراثنا الأدبي لما كان لها من مؤلفات أدبية قيمة . ولم يقتصر نشاطها الثقافي على اللغة العربية فحسب بل تعداها الى اللغة الفرنسية ، فظهرت لها عدة كتب ومؤلفات ، كما دبجت لها مقالات عديدة في أمهات الصحف الباريسية لاقت كثيرا من الاعجاب والاستحسان .

وان جئنا اليوم لنحصي ما للمرأة من نشاطات واسعة في المجتمع لضاق بنا المجال . فهي تواكب الرجل في شتى الميادين الفكرية والعلمية والثقافية مثبتة انها كفء لتحمل أعباء المهام الكثيرة المسندة اليها . ولا يخفى على المدرك البصير ما للمرأة من نشاط في الميادين الاجتماعية ، فقد أنشأت الجمعيات الخيرية ، كرعاية الطفولة والأمومة ، ومواساة المرضى واسعاف الجرحى والمصابين ، وجمعيات الهلال الأحمر خير شاهد على ذلك . ولا يتسع المجال هنا لنذكر نشاط الكثيرات ممن ساهمن في دفع عجلة تقدم المرأة العربية واعلاء شأنها بوجه عام حتى أصبحت تشارك الرجل في كل مجال مستطاع غايتها اسداء الخير ضمن تعاليم الدين واحلال السعادة والسلام .

اعداد فريال قطان

لقاء مع الأمل

قصة قصيرة

بقلم الاستاذ ابراهيم المصري



لم يعد في وسع عبد الرحمن أن يحتمل !.. العالم أصبح ضيقا كصدره ، حالكا كحظه ، عابسا متجهما كالحسرة المرة التي يحملها بين جنبيه !.. أين شبابه الزاهر ، وحسنه الباهر ، وما كان يضطرم في قلبه من فرح زاخر بالحياة ؟... لقد هزل بدنه ، وجف عوده ، وامتصت عصارته ، وأمسى اليوم كهلا متداعيا وهو بعد لم يجاوز الخمسين . ! ربع قرن ... خمس وعشرون سنة كاملة تصرمت من حياته في شر ذل وأقسى عذاب !... لماذا تزوج ... لماذا اقترن « بفكرية » ... لماذا باع شبابه لتلك المرأة العاتية الغليظة التي لا قلب لها . ؟!

كان رجلا فقيرا ، كان موظفا متوسطا ، وكان مع ذلك قانعا وسعيدا . ولكنه أراد أن يعيش كأبناء الذوات ، أن يتمتع بأسباب الترف وألوان النعيم . فأذل قلبه ، وامتهن كرامته ، وأسلم نفسه طائعا مختارا لتلك المرأة الثرية التي استحوذت عليه وأنشبت مخالبها فيه . لشد ما قاسى من غيرتها ، وكبريائها ، وتسلطها ، واستخفافها به كلما حاول أن يثبت أمامها ، أو هم بالثورة عليها ، أو هددها بالقطيعة أو الطلاق . أجل فكر في الطلاق أكثر من مرة ، بل صمم عليه يوما تصميما قاطعا وسعى الى تنفيذه. ولكنه في اللحظة الأخيرة أحجم وتراجع . لم يتراجع تحت تأثير المال والجاه وشتى المناعم التي كانت تغدقها عليه امرأته . كل تلك المغريات كان قد زهد فيها ، وعافتها نفسه ، بل أصبحت على مر الزمن قذى في عينه ، ومرارة في صدره ، ووصمة خفية يتمزق بها في صميم كيانه !

ان ما حال بينه وبين الطلاق كان ولده .. ولده محسن . ولده الوحيد الذي أحبه عبد الرحمن كما لم يحبب أي انسان ، والذي لم يستطع أن يتصور لحظة أن في مقدوره أن ينفصل عنه ويتركه في حضانة أمه التي قد تقترن برجل آخر لا بد له أن يكره الطفل البريء فينشأ معذبا مهينا أو ثائرا متمردا !... هذا ما خشيه عبد الرحمن ، وهذا ما جعله يصبر على غلظة امرأته وتسلطها واستبدادها رغم محاولاته الباطلة لتهذيبها وتقويم طباعها . أما الآن فلم يعد في وسعه أن يحتمل ، اذ المسألة لا تتعلق به بل بمستقبل ولده وسعادته . لقد تفوق محسن في دراسته الجامعية ، وأحرز شهادة عالية ، وفاز بمنصب مرموق ، وهو يريد اليوم أن يتزوج . ولكن أمه الجبارة العاتية ، أمه المعتزة بجاهها

ومالها، أمه التي دمرت حياة عبد الرحمن، تأبى الا أن تدمر أيضا حياة ابنها وتزوجه بفتاة هي صورة مطابقة لها. فتاة ثرية مثلها، ومثلها أيضا مزهوة وغليظة ومستكبرة وعاتية. فكيف يمكن ان يرضى عبدالرحمن لابنه العزيز الوحيد أن يشقى كما شقي هو، وأن يلاقي في حياته الزوجية ما لاقاه هو، وأن يعيش قرب امرأة تتعالى عليه، وتستبد به، وتخمد حريته، وتخنق فيه كل خاصة سامية نبيلة تمتاز بها شخصيته؟... لا... لن يتم هذا الزواج! لن تتكرر مأساة الوالد في الولد!.. ان السعادة التي أفلتت من عبد الرحمن، السعادة التي لم تكن من نصيبه يجب أن تكون في الغد من نصيب ولده. سعادة القلب، سعادة الروح، توافق الوجدان والفكر، تآلف الخلق والطبع، تجانس الميول والرغبات. هذه هي السعادة الزوجية التي ينشدها عبد الرحمن لمحسن، اذ هي التي تصون النفس وترتفع بها. أما التكالب على المال فهو الذي ينحط بالنفس ويهلكها. فاذا قدر لعبد الرحمن أن يحقق هذه السعادة لولده فانه سيجد في سعادة هذا الولد الحبيب الغالي راحة لنفسه، وعزاء لقلبه، وبلسما لجراحه.

طافت هذه الخواطر بذهن الرجل وهو يروح ويغدو في حجرة مكتبه، ذاكرا ما قاله له ولده منذ أيام من أنه قد اعتزم أن يخطب الفتاة التي اختارتها له أمه، مستجيبا لرغبة تلك الأم، خاضعا لارادتها، متأثرا بما لوحت له به من ثراء الفتاة ووجاهة مركزها الاجتماعي ونفوذ والدها. ولقد لمح عبد الرحمن في عين ولده نفس بارقة الطمع والزهو التي شعت من عينه هو عندما وقع اختياره على زوجته فكرية. فسلطان المال الذي حطم حياته بالأمس على وشك أن يخيم اليوم على بصر ولده ويحطم حياته أيضا.

وارتعش الرجل وتصور ابنه فريسة لتلك الحياة التي عاشها هو، تلك الحياة السهلة الخداعة الزائفة التي مهما تراءى فيها من مخايل العزة، فهي ليست بالعزيزة أصلا، بل هي عين الذل والتدهور والضياع. فكيف ينقذ ولده من وهدة هذه الحياة، كيف ينذره بشرها، كيف يجنبه عواقبها، كيف يجعل منه الرجل الشهم الأبي الأنوف الذي لم يستطع هو أن يكونه بالأمس؟!.. لا سبيل الى ذلك الا أن يزوج محسن بـ «نادية»... نادية وحدها هي التي يمكن أن تسعد ابنه الوحيد الغالي!

واتقد خيال عبد الرحمن وتمثل نادية، ثم تمثل على الفور أمها بنت عمه عطيات!... وكرت به الذكرى الى أيام حداثته، أيام كان يتردد على بيت عمه ويجلس الى عطيات، ويملأ قلبه من صفاء نفسها، ورقة طبعها، وحنان روحها، ومن سحر ذلك الخفر القلق البديع الذي كان ينسكب كيقظة الفجر عليها!..

وتصور عطيات وهي ترحب به، وتبتسم له، وتقدم اليه قدحا من الشاي أو القرفة ثم تدعوه في ليالي الشتاء ليشترك معها ومع أهلها في لعبة بريئة. وتصورها أيضا وهي منهمكة في اللعب تجمع بيدها الرخصة خصلات شعرها وتعقد حوله كعادتها شريطا من الحرير الأزرق فتبدو في صفائها الغامر شبه ملك طاهر. لماذا لم يتزوج عبد الرحمن عطيات؟.. لماذا آثر المال على الأخلاق، والطمع على القناعة، والمادة على الروح؟.. لو انه كان أنبل نفسا، وأرجح عقلا، واقترن بعطيات لكان اليوم ولا ريب هانئا وقريرا وسعيدا كزوجها محمود!... واذن فيجب أن يتدارك في شخص ولده ما فاته هو من نعيم روحي مكفول!.. يجب أن يزوج ابنه محسن من نادية بنت عطيات وان كان والدها موظفا متواضعا لا يملك غير مرتبه!... أية قيمة للمال. القيمة في الفتاة نفسها. وان نادية لتشبه أمها شبها عجيبا. فلها نفس رقة عطيات، ونفس عذوبتها، ونفس حنانها وكرم سجاياها ومتانة أخلاقها. فهي التي يجب أن يقترن بها محسن وهي التي يجب أن يرتفع في سبيلها عن دعوة المال واغراء الترف الممثل في تلك الفتاة الثرية المتغطرسة المتعجرفة «روحية» التي اختارتها له أمه على صورتها ومثالها.

وكان اليوم يوم عطلة وفكرية هانم في زيارة احدى صديقاتها ومحسن لا يزال في البيت. فاقترب عبد الرحمن من باب حجرة المكتب وناداه. وما ان أقبل الفتى حتى أسرع والده وجذبه من ذراعه في رفق ثم جلس وأجلس ابنه تجاهه وقال له:

— اسمع يا بني، أنت تعلم كم أحبك، وكم أكون سعيدا بأن أراك موفقا في مستقبلك وحياتك. أنت تريد أن تتزوج، حدثتني بهذا أمك. قالت لي انها اختارت لك روحية بنت الوجيه الثرى حامد بك. ولكن هل لاحظت أنت روحية جيدا، هل تأملتها، هل أمعنت النظر في أخلاقها وطباعها، هل أحسست انك تستريح حقا اليها وانها هي المرأة التي يمكن أن تسعدك وتعاونك وتصبح شريكة لحياتك؟...

فأطرق الفتى برأسه ثم رفع بصره الى والده وقال: لا أرى في روحية شيئا ينتقص من قيمتها. انها متعلمة ومن أسرة كبيرة، ووالدها يملك مائة فدان، وثلاث عمارات كبيرة في أجمل وأرقى أحياء العاصمة. ثم ان لها شقيقا واحدا، فنصيبها اذن في تركة والدها بعد وفاته لا يستهان به...

فقطب عبد الرحمن حاجبيه ثم حدق في ولده وقال:

— واذن فثروة الفتاة هي التي تهمك لا الفتاة نفسها! هو ذاك... أنت تطمع في المال، تريد أن تتزوج المال. لهذا تعصب عينيك بيدك وتأبى أن تنظر الى حقيقة الفتاة التي اختارتها لك أمك. أتذكر ما وقع منها بالأمس حين دب النزاع بينك وبين روحية حول قيمة الشبكة التي يجب أن تقدمها اليها عند الخطبة؟ لقد تطاولت الفتاة عليك وصرخت في وجهك، وقالت ان مثلها لا يمكن أن تقبل مثل هذه الشبكة الوضيعة التي لا يزيد ثمنها على خمسمائة جنيه. ثم رمتك بعبارة نابية لاذعة شعرت أنا أن فيها اهانة لك كما شعرت أنت ولا ريب بهذه الاهانة. ولكنك ابتلعت الاهانة وطأطأت الرأس صاغرا. ثم مضيت بعد ذلك تلاحق أمك في لهفة وتطلب اليها الاسراع باحضار شبكة عظيمة تليق بمقام الست روحية. فغضبت أمك نفسها لمغالاة الفتاة. فعدت أنت وتوسلت اليها مستعطفا متذللا خشية أن تنفر منك روحية فتفقدها وهي الدجاجة التي تنتظر أن تبيض لك كل يوم ذهبا... فأنت قد احتملت الاهانة واحتملت الذل حرصا على مال روحية!... وهذا الحرص على المال سيجعلك تحتمل غدا أضعاف ما احتملت بالأمس. فهل مات احساسك، هل ماتت كرامتك، هل أصبحت في عين نفسك رخيصا الى هذا الحد؟... تكلم...

فارتجف الشاب وظل لحظة صامتا، ثم تفرس في وجه والده فجأة وغمغم:

— أفهمك... أفهمك تماما... أنا أعرف انك لا تريد أن أتعذب أنا أيضا... ولكني أشعر بأني قوي وان في وسعي أن أتزوج روحية دون أن استضعف أمامها فأمكنها من أن تستعبدني بمالها.

فصرخ عبد الرحمن:

— ولكنها تستعبدك منذ اليوم. ولو انك كنت حقا قويا لما احتملت تلك الاهانة وطأطأت رأسك. ان من يهن يسهل الهوان عليه، ومن يألف الذل فلا بد أن يجرع كأسه حتى الثمالة. فثب الى رشدك وانقذ من الآن كرامتك ورجولتك واستمع لنصحي وتزوج نادية. انها مثال الطيبة

والطاعة والقناعة ، وهي وحدها التي يمكن أن تسعدك . أنت لم ترها ، ولم تقم بزيارة أهلها منذ أكثر من ستة أشهر . فتعال معي ... تعال معي نذهب اليهم ...

فأجفل محسن وقال :

— غدا ...

فهتف عبد الرحمن :

— بل الآن ... ابرىء ذمتك نحو نفسك ، لا تغلق بيدك بابا قد يكون فيه خلاصك . أنظر وتأمل وامتحن وقارن بين الفتاتين قبل أن تتورط فتندم . تعال ... تعال معي ... وقبل أن يعود الشاب فيتردد ويمانع ، تأبط عبد الرحمن ذراعه ومشى به الى الخارج دون أن يوجه اليه أية عبارة أخرى يحاول بها التأثير عليه ...

° ° °

وما ان دق عبد الرحمن جرس الباب وفتح له الخادم ، حتى أبصره محمود زوج عطيات . فخف لاستقبال الرجلين . ورحب بهما ، وأدخلهما حجرة الصالون ، وجعل يستفسر عن صحة السيدة فكرية هانم ، ويهنيء محسن بالمنصب المرموق الذي أسند اليه ، متمنيا له مزيدا من النجاح والتوفيق. وترامت أصوات الجماعة الى سمع عطيات فعرفت فيها صوت ابن عمها عبد الرحمن . فأقبلت بادية البشر تعلو وجهها تلك الابتسامة الخفرة الصافية ، وتنعقد حول شعرها تلك الشريطة الحريرية الزرقاء التي ظلت طابع زينتها منذ أيام حداثتها . فتأملها عبد الرحمن وهي تصافحه وتصافح ولده ثم تجلس في هدوء . فالتمعت أمام عينيه جميع صور الماضي حافلة بالذكريات، مليئة بالعبرات ، جياشة بالحسرات . فتطلع أيضا الى الزوج ، الى محمود ، فألفاه متهلل الصفحة مشرق الوجه سعيدا . فحنى رأسه في انكسار واشتدت حسرته على حظه . ولكنه ما ان تحول ووقعت عينه على ولده وذكر المهمة التي جاء من أجلها حتى تمالك نفسه وكبح جماح عواطفه ، وابتسم ابتسامة رقيقة وهو يستفسر عن نادية . فصاح محمود في مرح وابتهاج ان نادية تحضر بعض الفطائر التي أعدتها بنفسها صباح اليوم ...

ودخلت نادية تحمل صينية رصت عليها أكواب الشاي وأطباق الفطائر ، وتقدمت نحو عبد الرحمن وولده وحيتهما بايماءة رشيقة من رأسها وهي تردد : « أهلا وسهلا » ...

وتناول كل من الرجلين نصيبه من الشاي والفطائر . فوضعت نادية الصينية على المنضدة أمامها ثم جلست بجانب أمها ساكنة صامتة ، مسبلة العينين ، متضرجة الوجنتين ، تحس أن محسن يسارقها النظر ، فتزداد وجنتاها تضرجا ، وتزداد أهدابها انطواء ، وعيناها تحديقا الى الأرض.

وكان محسن لا يفتأ ينقل طرفه بين الفتاة وأمها . كان متعجبا بل شبه مذهول. كان مأخوذا بالتشابه العجيب في النظرات والحركات والأوضاع بين نادية وعطيات ، وحتى في تلك الشريطة الحريرية الزرقاء التي عقدتها الفتاة حول شعرها . وكان يحس تماما ما كان يحسه عبد الرحمن فيما مضى . وكما كان عبد الرحمن يرى في عطيات صفاء النفس ورقة الطبع ، وحنان القلب ، كذلك كان محسن يرى في ابنتها نادية نفس الألوان والأضواء تسطع وتتوهج ، وتتألف منها هالة نورانية تطوق وجه الفتاة الساحر البهاء !...

وفي نظرة متعثرة ونبرة حادة شخص محسن الى نادية وطفق يثني على الفطائر المتقنة التي صنعتها بيدها . فاستضحكت الفتاة ، وتورد محياها خجلا . وجعلت تشكر الشاب في عبارات وانية متقطعة وتعزو اتقان صنع الفطائر الى النصائح التي زودتها بها أمها ...

وكانت تتكلم بصوت خافت عذب رخيم ، فكان صوتها يشيع حولها جوا ساحرا غريبا ، يأسر محسن ، ويملك عليه قلبه وحواسه ، ويدفعه في الوقت نفسه الى مقاومة تأثير هذا الجو ما استطاع . بيد أنه كان يحس على الرغم منه أنه يتمنى لو يعيش أبدا في هذا الجو المترقرق من كيان الفتاة كالماء ، الزافر من حديثها كالهواء ، الصادح من ضحكتها كالموسيقى ، اللامع من عينيها كالبراءة ، الساري في صوتها الخافت العذب كهمس الخواطر ، أو غمغمة الجداول أو وسوسة الحلي !..

واستشعر عبد الرحمن ما يعتمل في نفس ولده، وأيقن أن صفاء الفتاة ونقاء سريرتها وطهارة روحها قد خلبت لب الفتى .فغمره احساس عميق بالارتياح أثلج صدره وكاد يبلغ به حد الانتشاء والفرح . ولكن كلمة بدرت من محمود أشار فيها الى «روحية» والى احتمال عقد خطبتها على محسن ، هذه الكلمة العابرة أرجفت عبد الرحمن ، وزعزعت في لحظة يقينه ، وبددت أمله وفرحته ، اذ أبصر محسن ، وكأنه قد استفاق من دوامة التأثير الذي أحدثته نادية في نفسه ، ينتفض وتبرق عيناه وتنبسط أساريره ويعاوده مظهر الكبر والزهو والاعتداد بأن في وسعه أن يصبح في غد زوجا لروحية ، أي لفتاة ثرية ومترفة ولامعة ومن أرقى الطبقات ...

والحق أن محسن لم يكد يسمع اسم روحية ينطق به محمود حتى تلاشت أمامه صورة نادية وانبثق في مسرح خياله بغتة طيف روحية . فتمثلها نابضة حية ، وجعل يقارن بين الفتاتين لا في الجوهر بل في العرض ، ولا في الحقيقة بل في المظهر ، ولا في الروح بل في المادة . جعل يقارن بين ما تختال فيه روحية من ثياب أنيقة وقلائد ثمينة وحلي نادرة ، وبين ما تبدو به نادية في ثوبها الكحلي البسيط ، وجوربها القطني الرخيص ، وهيكلها العاطل من كل زينة تنم عن اليسر والسعة والاقتدار .

واستبد طيف روحية بخيال محسن . فتململ الشاب في مجلسه وهم بالنهوض . فأدرك عبد الرحمن كل ما جال بخاطر ولده . أدرك أن سلطان الترف بل سلطان الطمع والجشع ما يزال مسيطرا على نفس محسن يحول بينه وبين الاستجابة الصادقة لفضائل البساطة والبراءة والطهر التي تتفجر كالنور من شخص نادية . فاختلج الرجل وأحس بانهيار أمله وفشل تجربته . فتحول نحو بنت عمه عطيات وعز عليه أن يرفض ولده السعادة التي تقدمها له فتاة مثالية انجبتها هذه المرأة الفاضلة الكاملة . فتمزق قلبه لوعة وكمدا ولم يسعه الا أن ينهض مستأذنا . فنهض محسن أيضا وحيا الرجلان أفراد الأسرة وانصرفا ، ومحمود يشيعهما بعبارات رقيقة ، وعطيات تدعو لمحسن بالتوفيق في حياته الزوجية المقبلة ، ونادية وقد توارت خلف أمها تبتسم للضيفين وتحييهما بايماءة خفيفة من رأسها .

وما ان انطلق الرجلان واستقبلا الشارع حتى عجز عبد الرحمن عن ضبط عواطفه فصاح في ولده :

— لماذا كنت قلقا ولماذا تعجلت الرحيل ؟... ألم تعجبك الفتاة ، ألم تتأثر ولو قليلا بما كان يتجلى في نظراتها وحركاتها من روعة البساطة والبراءة والطهر ؟ أما زلت مأخوذا بروحية وبما يجذبك فيها من سحر المال وأبهة الترف ؟... انها ليست امرأة . انها مخلوق أناني ، مزهو بنفسه ، شرس الطبع ، فظ الخلق ، لا قلب له ولا احساس . فانتبه وتبصر واذكر الاهانة التي لحقت بك منها واقطع صلتك بها حالا .

واتأد عبد الرحمن فترة ثم عاجل ابنه بقوله :

— أتريد أن أخطب لك نادية ؟...

فوجم الشاب وأطرق ثم رفع رأسه ولوح بيده وقال :

— دعني أفكر ... بضعة أيام ... يجب أن أفكر ... فطغت موجة من المرارة على صدر عبد الرحمن وقال في استنكار وتقزز :

— أنت وشأنك ... تزوج روحية ... ولكن اعلم انك ستقترن بجلاد ... بوحش ... جلاد لا بد أن يخنقك ، ووحش لا بد أن يفترسك !

فارتعش الفتى ولكنه هز كتفيه غير حافل . فغشت سحابة من الحزن وجه عبد الرحمن ، وكف عن محاورة ولده . أما محسن فقد أثاره من أبيه تحامله على روحية ، فاشتد استمساكه بالفتاة واعتزم فيما بينه وبين نفسه أن يبذل قصاراه كي يستعجل زواجه منها .

وواصل الرجلان السير في اتجاه منزلهما وعبد الرحمن ساهم شارد ، ومحسن مشرق الطلعة ظافر النظرة ، واثق كل الثقة من أن أمه لا بد أن تكون قد حسمت خلافه مع روحية ووعدت الفتاة بشبكة عظيمة جديرة بها .

وكان الوقت ظهرا والجو صحوا والشمس فاترة الحرارة ، وأولى نسمات الخريف تداعب غصون الأشجار المتناثرة في حديقة البيت . فلما نفذ الرجلان الى الحديقة أخذت عينا محسن زهرة ممشوقة القد وردية اللون تترنح بمفردها فوق شجيرة بدأت تتجرد من أوراقها . فمال الشاب الى الزهرة واقتطفها وفي نيته أن يقدمها الى والدته . ثم وثب الى مدخل البيت جذلان مبتهجا ودفع الباب . ولكنه ما ان توسط البهو الكبير متبوعا بوالده ، حتى تراجع مندهشا ومبهوتا وجمد . أما عبد الرحمن فلم يكن بأقل من ولده دهشة وذهولا . ترامت الى سمع الرجلين من غرفة الصالون صرخات متقطعة متعاقبة متدافعة تنبعث من امرأتين هما فكرية هانم وفتاتها الأثيرة الآنسة روحية . وكانت الصرخات مصحوبة بكلمات لاذعة ، وألفاظ متعالية ، وعبارات ملؤها الكبر والتهكم والسخرية . فأنصت الرجلان وقد اشتد بهما الدهش والذهول . فاخترق سمعهما صوت فكرية هانم تقول :

— أنت مجنونة ... مجنونة ولا ريب !... ما كل هذه المطالب التي يتشبث بها خيالك الطائش ؟!.. شبكة قيمتها ألف جنيه ، ومهر لا يقل عن ألفي جنيه ، وفيلا مستقلة في أفخم الأحياء ، وحفلة عرس عظيمة تنفق فيها أيضا مئات الجنيهات ... ولكن من أين أجيئك بها ؟... انها فوق طاقتي ... انها تحرجني ... انها تجر الخراب عليّ وعلى ولدي . فهل تريدين أنت بهذا الزواج تدمير حياتنا ؟... أنت طماعة ... أنت مغرورة ...

فصاحت روحية في غضب :

— المغرور هو الذي يتطلع الى مستوى أرفع من مستواه . لماذا تقدّم اليّ محسن ، لماذا أراد أن يصاهر أسرتنا الكبيرة ، لماذا لم يبحث له عن زوجة تكون بنتا لموظف أو تاجر أو ...

فقاطعتها فكرية هانم وقالت صارخة :

— لسنا بأقل منكم مكانة وشأنا . وفي وسع محسن أن يقترن بفتاة من أرقى العائلات .. ولكني أنا التي اخترتك أنت زوجة له ، وأنا الآن آسفة ونادمة على هذا الاختيار !..

فأرسلت روحية قهقهة مدوية وقالت :

— ستندمين غدا أكثر ، ومحسن سيقبل في غد جميع مطالبي .. وسيعود .. سيعود ممتثلا وصاغرا ويطلبني !..

وساد صمت زافر عميق ، ثم سمع الرجلان وقع أقدام متعجلة متهافتة . فأدركا أن روحية قد غادرت الصالون وانصرفت من الباب الخلفي المؤدي الى الشارع . وعندئذ وثب محسن من مكانه ودفع الباب في عنف ، ودخل الحجرة متجها نحو أمه وفي أثره والده .

فصاحت فكرية هانم :

— أنت ؟!...

فقال محسن في هدوء :

— كنا هنا وسمعنا كل شيء !..

واهتز بدنه اهتزازا عنيفا وصدى كلمات روحية ما يزال يرن في أذنيه ، واتقد وجهه فجأة واندلعت عيناه وقال في صوت قاطع وعزم مكين :

— لا أريدها !... لا أريدها !...

فأبرقت أسارير عبد الرحمن ، وانتعش في قلبه الأمل ، وهم بالكلام . ولكن فكرية هانم ، فكرية الشامخة المعتزة المتحكمة المستبدة ، صرخت في ابنها على الفور :

— سأزوجك بمن هي أغنى وأرفع وأجمل ألف مرة من روحية ... سأزوجك بسهام بنت المرحوم شاكر باشا ... وريثته الوحيدة في ثروته الطائلة ... يجب أن تتزوجها !... هذه كلمتي !.. ولا أقبل أي اعتراض عليها لا منك ولا من أبيك... الليلة ... سأذهب الليلة ... وسأخطب لك الفتاة !..

فحدق الشاب الى أمه وقال في سكون :

— لقد اخترت أنا لنفسي !...

فخفق قلب عبد الرحمن . وصاحت المرأة مستنكرة :

— ماذا تقول ؟!...

فقال محسن ثابتا ومؤكدا :

— سأتزوج الفتاة المتواضعة البسيطة البريئة ، سأتزوج نادية بنت الأستاذ محمود ... انها من أسرة والدي ، انها من لحمي ودمي !

فصرخت فكرية هانم :

— أبدا ... أبدا ... هذا لن يكون !...

فقال محسن :

— بل هذا هو عزمي !...

وفي تلك اللحظة ، في تلك اللحظة الفاصلة ، ولأول مرة بعد عذاب السنين الطوال التي تجرع فيها عبد الرحمن من امرأته الجبارة العاتية شر ضروب المذلة والهوان ، دنا الرجل منها ، وانبعثت فيه قوة غلابة قاهرة ، وقال في صوت حاد المخارج باتر النبرات :

— لن يتزوج محسن بغير نادية . هذه ارادته وهي أيضا ارادتي !...

فأسرع محسن وقال :

— وسأطلب الفتاة من والدها ... سأطلبها قبل أن يظفر بها غيري !...

فاستشاط غضب فكرية وهاج هياجها وصاحت :

— اذن خذها ... خذها ولكن لا تطلب مني قرشا واحدا ... لن أعاونك ولا بقرش واحد !..

فصرخ محسن :

— لا أريد مالا من أحد .. سأعتمد على نفسي ... سأتزوج نادية ... سأتزوجها من كد يدي وعرق جبيني !...

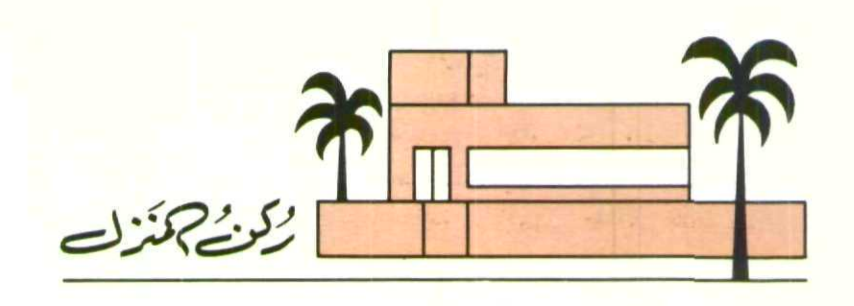
. فروعت الأم مما سمعت ، وهالها أن يتألب عليها الولد ووالده ، وأيقنت أن مشيئة الرجلين هي التي ستنفذ غدا . فاختنقت أنفاسها ، وأحست ان شعور القهر يوشك أن يذلها ويزعزع أعصابها . فلم تستطع أن تحتمل .. فاندفعت مهرولة صوب مخدعها وصفقت خلفها الباب .

° ° °

ولما ألفى عبد الرحمن نفسه بمفرده تجاه ولده ، وألفى الشاب قويا وثابتا على عزمه ، أحس أن حسرته المريرة على ماضيه قد تقلصت من صدره ، وان ذلك الماضي البغيض قد مات وبعث حياة جديدة سعيدة ممثلة في مستقبل ولده . فجاشت عواطفه ، وفاض بالفرح قلبه ، فارتمى على محسن وقال له :

— ان عزمك يا بني راعني !... ولقد عرفت فيك ما كان يجب أن تكون عليه نفسي ، بل قد التقيت اليوم فيك بأحلامي الشريدة وآمالي الضائعة !...

وعانق ولده مختلجا وملهوفا ، وانهمرت من عينيه الدموع .



فنّ المحادثة

بقلم السيدة دموع ناصر

المحادثة فن اجتماعي يمارسه الأفراد كافة ، فهو ليس وقفا معينا على فئة من الناس أو مقصورا على طبقة من المجتمع ، وانما هو حق يتمتع به كل مكتمل القوى العقلية ، قادر على النطق . فلكل امرىء حق الكلام والاسترسال في الحديث عما يعن في خاطره ويختلج في نفسه مع مراعاة القوانين والأنظمة الاجتماعية والعادات التي يتقيد بها مجتمعه . رب سائل يقول : هل للكلام أو الحديث شروط أو نصوص يتعين على المرء اتباعها والالتزام بها ؟ نعم ان الفرد الذي ينشد الانسجام مع أهله والوئام مع أصدقائه والمحافظة على تقاليد بيئته ، عليه أن يراعي نظم المجتمع الذي يعيش فيه ويحترمها كل الاحترام . فقبل أن يستهل المرء أي حديث ، ينبغي عليه أن يفكر مليا ليجعل حديثه مشبعا وموافقا نسبيا لرغبات الحاضرين وميول المستمعين . فالشاعر مثلا لا نحدثه عن التجارة ونشاط أسعارها وأسواقها . كذلك الشخص العامي لا نحدثه بأسلوب سقراط أو أرسطو .

ان المتحدث اللبق ، أو المتكلم الرزين هو ذلك الذي ينتقي المواضيع الملائمة والأحاديث المناسبة التي تعطي الجليس مجالا للاشتراك والمساهمة في تبادل الرأي ووجهات النظر . فهناك كثير من الأفراد لا يجدون مجالا للمشاركة في ابداء الرأي فبدلا من التزامهم الصمت والسكوت فانهم يلجأون الى تصفح الجرائد اليومية والمجلات الشهرية ليقفوا على ما يدور في العالم من أخبار وأحداث اجتماعية ، كما يلجأون الى سماع الراديو ومشاهدة التلفزيون باعتبارهما من الوسائل الفعالة في تنمية قواهم العقلية وتوسيع مداركهم وانعاش معلوماتهم العامة ، وتنمية المادة التي تساعدهم على تجاذب أطراف الحديث ومشاركة الجلساء والحاضرين الرأي . فاذا كان الفرد ضيق الأفق ، ضعيف التفكير وغير لبق في الحديث فانه لا يحظى باحترام الآخرين وتقديرهم . كما ان هناك أفرادا كثيرين يعنون بمظاهرهم الخارجية ، ويتغاضون عن الجمال العقلي والجمال الخلقي اللذين يمكن الحصول عليهما بالدراسة والمطالعة والمثابرة والاجتهادوالكفاح الدائب . من منا ينكر أن الأفكار كالأزهار والأثمار تنمو وتنضج بالتعهد والعناية ؟ وبما أن العقل حقل خصب يمكننا أن نجني منه ثمار الفوز والنجاح ، والنجاح هو غاية الانسان في هذا الوجود .

والمتحدث اللبق لا يهتم فقط بمادة موضوعه ، وأناقة اللفظ ، وحسن الصياغة ، ولكن يهتم أيضا بالروح التي يتحدث بها ، فيتحدث بجرأة وثقة ليصل الى أعماق المستمعين ، ويكشف عما يسرهم فيشتركون في الحديث من غير أن يدروا ، وتعم البهجة جو الجلسة . ولا يصعب على أي شخص أن يكون محدثا محبوبا اذا تغلب على العادة الرديئة التي تستبد بآلاف منا ألا وهي عدم الاهتمام باكتساب الصالح من الأفعال والأقوال وعدم ازعاج أنفسنا باحترام آراء الآخرين ضاربين بأفكارهم عرض الحائط . والشيء الوحيد الذي نبتهج به ونخوض في الحديث عنه ، وليس أقرب الى قلوبنا منه ، هو المغالاة والافتخار بشخصياتنا والتبجح بجيد طعامنا ، وصغر أعمارنا ، كل فرد يغرق في أحاديث تافهة كهذه حتى ليخيل للسامع أن حب الثناء من الناس ومن أنفسنا لأنفسنا احدى الغرائز .

حبذا اهمال كلمة أنا . ليته يأتي ذلك اليوم السعيد الذي تبطل فيه الأنانية ، فلا نعيش لأنفسنا فقط بل للجميع ، لأنه ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط. من منا لا يلتقي في المجتمعات التي

يحضرها بأفراد صامتين لا يتكلمون ولا يشاركون في الحديث ؟ والسبب الوحيد الذي عقد ألسنتهم هو أما الحياء أو جهل ما يدور حولهم . فالفرد الذي بامكانه أن يدخل أعماق النفس بثاقب نظره يتقرب من شخص هذه صفاته ، ويحييه بوجه باسم ويتعرف اليه فيرتاح له الآخر ويشاركه حديثه دون ما يدري .

كثير من الأحيان يسأل الفرد منا سؤالا علميا فيحمر وجهه ويرتبك ويتلعثم اذا لم يستطع الجواب . لمَ هذه الحيرة ؟ هل ينتظر من كل شخص أن يلم بعلوم الأولين والآخرين ؟ أليس من الأسهل والأبسط أن يقول ببساطة وأمانة اني آسف لا أدري — فيحترم لصراحته واعترافه ؟ للمحادثة وقع عظيم وتأثير بليغ اذا راعينا شروطها وراعينا شعور الآخرين .

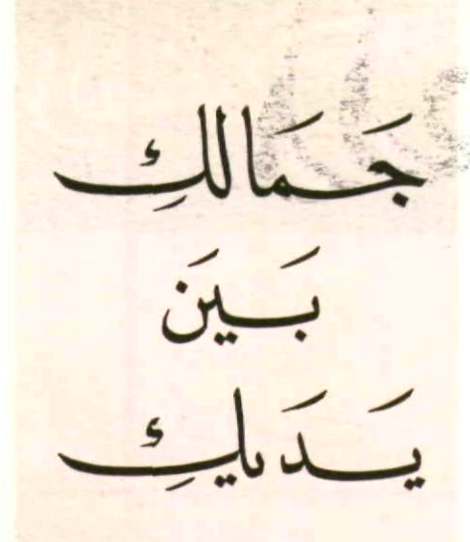
هل يمر يوم دون أن نسأل أسئلة شخصية وعائلية لا نرغب مطلقا في الاجابة عليها ؟ هل يمر يوم دون أن نخدش بانتقادات لاذعة ؟ لم نتحدث عن سيئات الآخرين بينما نعتصم بالصمت عن حسناتهم ؟ طوبى للأفراد الذين يشغلهم عيبهم عن عيوب الآخرين . لكي نجتنب سؤالات طفيلية كهذه وانتقادات فارغة ، علينا أن نغير مجرى الحديث بشيء من اللباقة ، أو بالأحرى لا نجعل السائل في موقف حرج بسؤالنا اياه رأيه الخاص أولا ، وكل ذلك يتطلب تفكيرا ونباهة وحذاقة .

لقد ابتلي الكثيرون بمرض الكلام فلا ينتهي الفرد من حديث حتى يبدأ بالآخر ، ولا يعطي مجال الكلام لغيره فيسترسل بالحديث ويجره استرساله الى أفكار سقيمة تكون برهانا على الجهل وعدم الاتزان ، ولقد قيل «اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب». وليس فن الاصغاء أقل أهمية من فن الحديث ، فاصغاؤنا بعقلنا وعيوننا وآذاننا ووجهنا دليل ساطع على تهذيبنا واحترامنا للغير ، كما انه شاهد على ذكائنا . «عامل الناس كما تريد أن يعاملوك» . ومن منا لا يتألم عندما يبتدىء بحديثه ويرى أحد الحضور لا يصغي اليه أو ينتبه له ؟ فلنصغ ولننتبه لكل محدث مهما كان نوع حديثه ومهما كان مركزه العائلي والاجتماعي . الحديث فن والاصغاء كذلك فن . فمن يتقن الفنين بالاعتدال فيهما أمن شر الاسراف في أحدهما .

لنجتهد في محاربة الاستهزاء ، هذا الداء الوبيل الذي يستحوذ على ألوف منا . هذه خلة رديئة قتالة للروح ، كما انها هدامة للصداقة والألفة . لا تبخل بثنائك ومدحك على الآخرين ، فلا يخلو فرد من مواهب كجمال جسدي أو جمال روحي أو عقلي ، فالناس متعطشون للثناء ، ولكن ليكن ثناء صادقا وأمينا لا تملقا وخداعا .

الحديث انعكاس شخصية المحدث فلنجتهد بجعل الحديث رائعا جذابا ولا يكلفنا ذلك سوى الأخذ بالمبادىء التالية :

١ — اجتناب التبجح والتفاخر لأنهما دليل ساطع على صغر المتصف بهما .
٢ — عدم مجادلة الجاهل والمغرور لا احتراما لهما بل احتراما لأنفسنا .
٣ — الاحتراس من انتقاد الآخرين فلكل منا مثالب .
٤ — ليكن المرء لطيفا مهذبا عند السؤال والجواب .
٥ — عدم مقاطعة الآخرين أثناء الحديث.
٦ — التأكد من صحة ما سنقول .
٧ — الامتناع عن الرطانة الاعجمية في الحديث لأنها دليل على أن المتحدث يود اظهار مدى معرفته .
٨ — القراءة المستمرة في كل باب يدور حول مجتمعنا لنكون ملمين بما نتحدث به وما نصغي اليه .



البثور

من العيوب الطفيفة التي تنغص حياة بعض الشابات ، وتبعث القلق والازعاج في نفوسهن ، هي «البثور» . فهذه البثور التي تظهر في وجهك يا سيدتي سرعان ما تنطفىء وتندثر اذا لم تفقأ حبيباتها قبل نضوجها واذا لم تنزع ، قبل الأوان ، القشور التي تعلوها . فعندما تنظرين يا سيدتي في المرآة وترين حبيبة أو بثرة في وجهك لا تعتبريها مفسدة أو عيبا لجمالك . فحاولي الا تفقئيها أو تنزعيها بطرف ظفرك ، والا عادت البثرة أكبر مما كانت عليه ، وتركت أثرا بارزا في ملامح وجهك .

ان فقىء الحبة أو البثرة التي تظهر في الوجه لا يحل المشكلة بل يزيدها تعقيدا .. والأفضل أن تستشيري الطبيب ، أو الا تعبثي بها ، على الأقل .

الصفحة الضاحكة

وأنا كذلك

سأل صحفي قائدا عسكريا عن خطته الحربية فرد عليه ..

القائـد : أتحتفظ بالسر ؟

الصحفي: نعـم .

القائـد : وأنا كذلك

ذكاء خارق

المعلم : بماذا تشتهر كوبا ؟

التلميذ : لا أعرف يا أستاذ

المعلم : أتذكر يا بني ما نضعه في الشاي عادة ؟

التلميذ : نعناع يا أستاذ .

سؤال وجيه

الخادم الجديد : هل أرمي هذه الخرقة البالية يا سيدي ؟

السيد : ماذا دهاك ؟ هذا معطفي .



عاشت الأسامي

مدير السجن للصوص : أذكروا أسماءكم .

الأول : شريف

الثاني : شرف

الثالث : أشرف

مدير السجن : أهلا وسهلا (شرفتوا) السجن .



لكل امرئ نظرته

أراد ابن البخيل أن يركب « تاكسي » ولكن والده أصر عليه أن يركب « الأوتوبيس » .

فقال الابن : أنت يا والدي لا تعرف الفرق بين التاكسي والأوتوبيس .

الأب : بلى يا بني اني أعرفه تماما . . . . ربع ريال !

منطق

الزبون : بكم التمر ؟

البائع : خمسة ريالات للصنف المعبأ بالكيس وريالان لغير المعبأ .

الزبون : حسناً أعطني من الصنف الأول واحتفظ بالكيس .

خوف

مرّ عثمان بن حفص الثقفي بأبي نواس ، وقد خرج من علة مصفر الوجه ، وكان عثمان من أقبح الناس وجها .

فقال له عثمان : ما لي أراك مصفرا ؟

فقال أبو النواس : رأيتك فذكرت ذنوبي

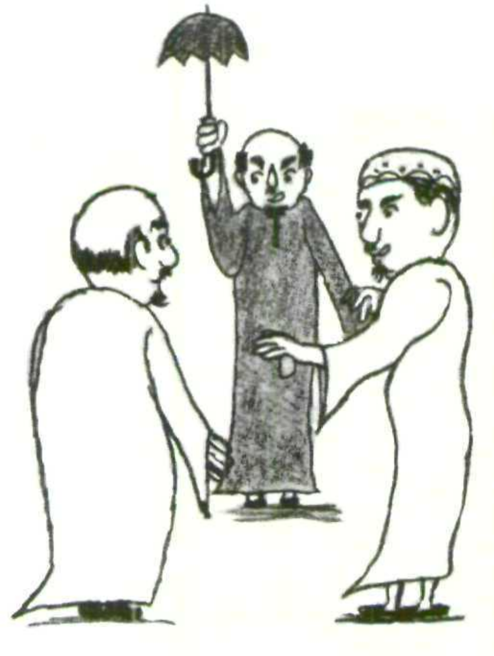
فقال : وما علاقة ذنوبك برؤيتي ؟

فقال : خفت أن يعاقبني الله فيمسخني مثلك .

إيحاء

الأول : أقدم لك صديقي رعد بن مطر الغيثاني .

الثاني : يبدو أن الواحد لا يستطيع أن يتعرف به الا ومعه مظلة .



القطّ والمصْيدَة

بريشة : عصام العماد

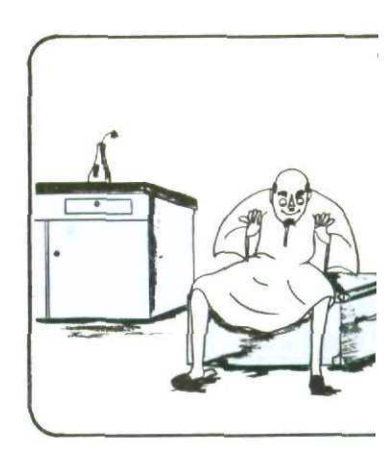
فأر له مكر الثعالب في ابتداع الحيلة
أبدا يرى في الليل يزرع شره في غرفتي
يلهو بأوراقي وأدراجي وجلد حقيبتي
ويمزق القمصان والأثواب يقضم خبزتي
ويذوق أطعمتي ويمعن في اختراع اذيتي
لا يرعوى لا يستحي بل يستغل سماحتي

لما تمادى بالأذى حينا وضقت بحالتي
قررت منه الاقتصاص بل ارتكاب جريمتي
فشرعت ارقبه بباصرتي أجل وبصيرتي
حتى ظفرت به يمزق في الخزانة سترتي
حاصرته فسجنته ، ونجحت في صندوقتي
وتركته حتى الصباح لقتله واراحتي
وغفوت مزهوا بفوزي بل نجاح مكيدتي

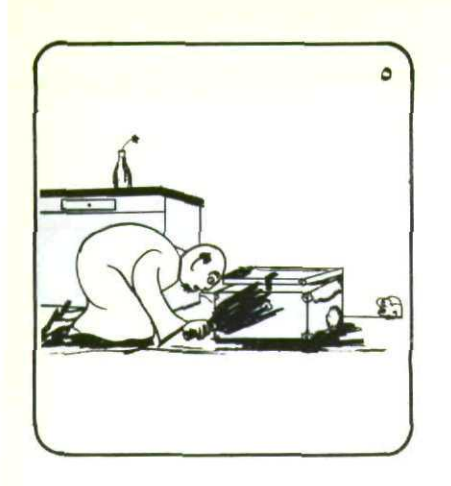
عند الصباح مضيت توا كي احقق نيتي
فوجدته ثقب الجدار وفرّ يا لمصيبتي !
اذ ذاك قررت انتقاما سرت نحو القرية
أحضرت قطا جائعا متوثبا كاللبوة
و « مَصِيدة » حبلتها ووضعتها في الحجرة
عند المساء ونمت مسرورا بثاقب فكرتي

لما أفقت نهضت كي أقفو نتائج خطتي
فوجدت أن القط ميتا تحت قوس مَصِيدتي
والفأر يلهو ضاحكا مني ومن احبولتي

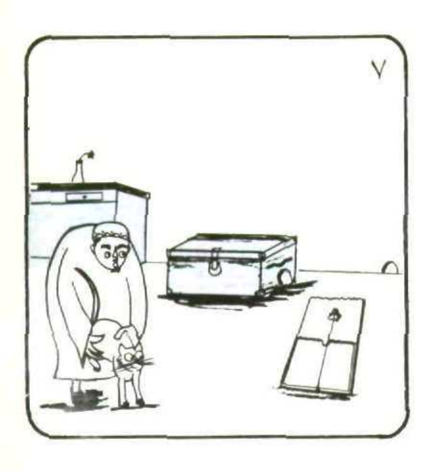


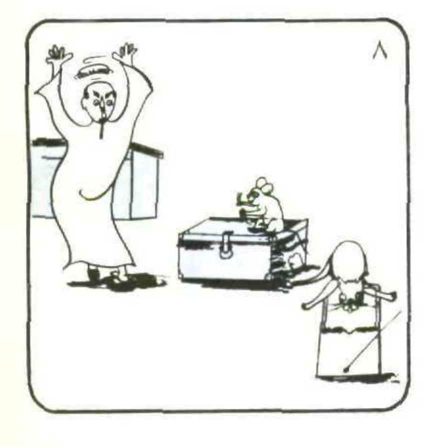














شَارع الخُبر - الظهْران تصوير: عبداللطيف يوسف